العنوان: المناهِجُ الدِّراسِيَّةُ، كتابُ التَّوحِيد، المستوى (الحادي عشر).

نُبذَةٌ مُختصَرة: تُعتبَرُ هذه المادَّة العِلميَّةُ تَهْذِيباً واخْتِصاراً لِلمناهِجِ الدِّراسِيَّة في المملكَة العربيَّة السُّعوديَّة الموَجَّهَةِ لِلطُّلّابِ، وهي مُقَسَّمةٌ على عِدَّة مُستَوياتٍ، ومِن ضِمْنِ هذه المادَّة ما يَختَصُّ بدِراسَةِ عِلْمِ التَّوحيد، وهي مُقسَّمَةٌ إلى اثنَتي عشرة (12) مُسْتوى، وقد تضمَّنَ المستَوى الحادي عَشَر منها يتناولُ مَباحِثَ في الإيمانِ وأركانِه وأثَرِه على الفَرْدِ والمجتَمع.وإنَّ مِن أهمِّ ما اشتمَلَ عليه من المسائِل والأبواب ما يلي:

1- مَعْنَى الإيمانِ، وبيانُ دُخولِ الأعمالِ في مسمَّى الإيمانِ.
2- بيانُ أركانِ الإيمانِ وشُعَبِهِ.
3- توضِيحُ نَواقِضِ الإيمانِ التي تَقدَحُ في صِحَّتِهِ.
4- قَواعِد أهل السُّنَّة في باب الأسماءِ والصِّفات.
5- بيانُ أَثَرِ الإيمانِ في حَياةِ الفَرْدِ والجَماعَةِ.

المستوى الحادي عشر

مقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرْفِ الأنبياءِ والمرسلِين، نبيِّنا محمَّد وعلى آلِه وصَحْبِه أجمعين، أمّا بعد:

فإنَّ توحِيدَ اللهِ سبحانه وتعالى هو أوجَب الواجِبات، وهو الأساس لجميع الأعمال، فلا يقبَل اللهُ أيّ عَمَلٍ بدونه، ولا صَلاح ولا سَعادَة في الدُّنيا ولا نجاةَ في الآخِرة إلّا به.

وإيماناً بأهميَّة ذلك وتحقيقاً له حرص مكتب توعِية الجاليات على تَدْرِيس مادَّة التَّوحِيد.

وهذا مُقرَّر التَّوحِيد لِلمُستوى الحادي عشَر يتناولُ مَباحِثَ في الإيمانِ، وأركانِه، وأثَرِه على حَياةِ الفَرْدِ والمجتَمَعِ.

الباب الأول

مَباحِث في الإيمانِ

مَعْنَى الإيمانِ

الإيمانُ في اللُّغة: التَّصدِيق المُستَلْزِم لِلقَبولِ والإِذْعانِ.

وشَرعاً: تَصْدِيقُ القَلْبِ، وإقرارُ اللِّسانِ، وعَمَلٌ بِالأركانِ، يَزِيد بِالطّاعَة، ويَنْقُص بِالمعصِيَة.

دُخولُ الأعمالِ في مسمَّى الإيمان:

الأعمال داخِلة في مسمَّى الإيمان كما دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع السَّلف.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾.. الآية [البقرة: 143]، أي: صلاتَكُم وأنتم مُتَّجِهون لبَيْتِ المقدِسِ قبل أن تُؤْمَروا بِالتَّوجُّه إلى الكَعْبَة.

وقال ﷺ: الإيمانُ بِضْع وسبعون أو بضع وستُّون شُعْبَةً، فأفضلها قول لا إله إلّا الله، وأدناها إماطَة الأذى [1] عن الطَّرِيقِ، والحياء شعبة مِن الإيمان [2].

وحكى الإمام الشّافعي - رحمه الله - إجماعَ الصَّحابة والتابعين ومَن بعدَهم مِمَّن أدركَهم على دُخولِ الأعمالِ في مسمَّى الإيمانِ.

زِيادَةُ الإيمانِ ونُقْصانُه:

الإيمان يَزِيدُ ويَنْقُص، يزيد بِالطّاعَة، وينقُص بالمعصِيَة، وعلى ذلك أدلَّة كثيرةٌ، منها:

1- قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾ [المدثر: 31].

2- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ [الأنفال: 2-4].

3- ما روى مسلم بِسَنَدِه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّه قال: سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:(مَن رأى مِنكم مُنكراً فَلْيُغَيِّره بِيَدِهِ، فإن لم يستَطِع فَبِلِسانِه، فإن لم يستَطِع

(1) إماطَة الأذَى: تَنْحِيَتُه وإبْعادُهُ.

(2) رواه مسلم في صحيحه (63/1)، كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

فَبِقَلْبِه، وذلك أضعَفُ الإيمان) [1].

ففي هذا الحديث بيان مَراتِب تغيير المنكر وكونها مِن الإيمان، وأنَّ أدنى مرتبةٍ مِن مراتِب التَّغيير مَرْتَبة تغيير المنكر بِالقلب، وهي أضعَف الإيمان؛ فما سبَقَها مِن المراتِب أقوى إيماناً، والله أعلم.

4- وحديث الشُّعَب الذي سَبَق.

ففيه أنَّ الإيمانَ شُعَبٌ متعَدِّدَة ومُتَفاوِتَةٌ في الفَضْلِ، فمِنها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كالشَّهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطَّريق. وبحسَبِ أنواعِ الشُّعَب، وكَثْرَة ما يَتَحَلَّى بِه المؤمِن منها، وقُوَّةِ تمثُّلِه بها يكون زِيادة إيمانِه، وبِنْقَص ذلك يكون نَقْصُه. وهذا وجه الاستشهاد من الحديث.

وإذا ثبت زيادة الإيمان ونَقْصُه فإنَّ أهلَ الإيمان يَتَفاضلون؛ فمِنهم كامِل الإيمان، ومِنهم مَن هو دون ذلك، ومنهم مَن هو مؤمِن بإيمانه، فاسِقٌ بِكَبِيرَتِه (ناقِصُ الإيمانِ لأجلِ مَعْصِيَتِه).

أمّا مَن أخرج الأعمالَ عن مسمَّى الإيمان فإنَّه يعتَقِد أنَّ الإيمانَ لا يزيد ولا ينقص، وأن النّاس مُتساوون في إيمانهم، فإيمان أفسَقِ النّاس كإيمان الصَّحابة رضي الله عنهم، وهذا مِن أبطَلِ الباطِل لمخالفة الكتاب والسُّنَّة والعَقْلِ الصَّحيح. وفيه دَلِيلٌ على بُطْلان إخراجِ الأعمالِ عن مسمَّى الإيمان؛ لأنَّه يَترَتَّب على ذلك هذه اللَّوازِم الباطِلَة.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه (69/1)، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النَّهي عن المنكر مِن الإيمان، وأنَّ الإيمانَ يزيد وينقص.

لِلاستَزادة انظر:

1- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

2- الإيمان لابن أبي شيبه رحمه الله.

3- الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله.

4- الإيمان للحافظ محمد بن يحى بن أبي عمر العدني رحمه الله.

5- الإيمان حقيقته، وعلاماته، وثمراته لعبد الله المطلق.

6-الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقصه لمحمد نعيم ياسين.

الأسئِلَة:

س1: عرِّف الإيمانَ لُغَةً واصطِلاحاً.

س2: هل الأعمال داخِلة في مسمَّى الإيمان ؟ اذكُر الدَّليل على ما تقول.

س3: ما اللَّوازم الباطِلة التي تترتَّب على إخراج الأعمال عن مسمَّى الإيمان ؟

س4: اذكر بعض أدلَّة السَّلف على زيادَةِ الإيمان ونقْصِه.

س5: ما وجه الاستِدلال على زيادة الإيمان ونقصه مِن النَّصوص التّالية ؟

1-قول الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم:« الإيمان بِضع وسبعون أو بِضع وستُّون شعبة: أعلاها قول لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذَى عن الطَّريق والحياءُ شُعْبَةٌ مِن الإيمان».

2-قول الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم:« مَن رأى مِنكُم مُنكَراً فَلْيُغَيِّره بيده... الحديث ».

الإسلامُ والإيمانُ

في الإسلام والإيمان يجتَمِع الدِّين كلُّه، فإذا ذُكِرا جميعاً فُسِّرَ الإسلامُ بالأمور الظّاهِرَة مِن الأعمال، وفُسِر الإيمانُ بالأمور الباطِنَة مِن الاعتِقاد كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: 14]، وكما في حديث جبريل عليه السلام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شَدِيدُ بياضِ الثِّيابِ، شديد سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثر السَّفر، ولا يعرِفه منّا أحد، حتى جلس إلى النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم. فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفَّيه على فخديه. وقال: يا محمد ! أخبرني عن الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« الإسلام أن تشهَدَ أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيت إن استعطت إليه سبيلاً » قال: صدَقت. فعجِبنا له يسأله ويصدِّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان قال:« أن تؤمِن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَرِ خيرِه وشرِّه » قال: صدَقت قال: فأخبرني عن الإحسان، قال:« أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال: فأخبرني عن السّاعة قال:« ما المسؤول عنها بأعلَم مِن السّائل » قال: فأخبرني عن أماراتها قال:« أن تلِدَ الأمَة ربَّتها، وأن ترى الحفاةَ العُراةَ العالَة رِعاء الشّاء يتَطاولون في البنيان » قال: ثم انطلق، فلَبِثْت مَلِيّاً ثم قال لي:« يا عمر ! أتدرِي مَن السّائل قلت: الله ورسوله أعلم، قال:« فإنَّه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم » (1).

وإذا افترقا، فسِّر أحدهما بما يفسَّر به الآخر كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: 19].

فَجعل الإسلام هو الدِّين بشَرائِعِه الظّاهرة والباطِنة، وقد فسَّر الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم الإيمان لوفد عبد القيس بما فسَّر به الإسلام في حديث جبريل عليه السلام كما أخبر ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمَرهم بالإيمان بالله وحدَه، ثم قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحدَه ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:« شهادة أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمّداً رسول الله

(1) رواه مسلم في صحيحه (1/36 – 38)، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام... إلخ.

وإقام الصّلاة وإيتاء الزَّكاة وصيام رمضان... الحديث » [1].

وكما في حديث شُعَبِ الإيمانِ من قوله:« أعلاها قول لا إله إلّا الله، وأدناها إماطَة الأذَى عن الطِّريق ».

مع ما بينهما مِن أعمالٍ ظاهِرةٍ وباطِنةٍ. وينبغي التَّنبُّه إلى أنَّ الأعمالَ الظاهِرةَ لا تسمَّى إسلاماً إلّا بوُجود أصلِ التَّصدِيقِ والإيمانِ، أمّا مع عدَم وُجود أصلِ الإيمان الذي يصَحِّح به أعمالَه فيكون مُنافقاً.

وهما واجبان، فلا يَنال أحَدٌ رضوانَ اللهِ تعالى ولا ينجُو مِن عقابِه إلّا بالانقيادِ الظّاهِر مع يقينِ القَلْبِ فلا يَصِحّ التَّفريق بينهما.

ولا يستكمَل الإنسانُ الإيمانَ والإسلامَ الواجِبَيْن عليه إلّا بامتِثالِ الأوامِرِ والابتِعادِ عن النَّواهِي، كما لا يَلْزَم مِن الكمالِ بُلُوغ الغايَةِ؛ لاختِلافِ الدَّرجات في زيادَة الأعمالِ مِن النَّوافل وزيادة التَّصديق. والله أعلم.

الأسئِلَة:

س1: في أيّ شيءٍ يجتمع الدِّين ؟ وما الدَّليل على ذلك ؟
س2: ما معنى الإسلام مع ذِكر الأدلَّة ؟
س3: متى يكون معنى الإسلام والإيمان واحداً ؟ ومتى يختلف أحدهما عن الآخر ؟
س4: ما معنى الإيمان مع الدَّليل على ذلك ؟
س5: هل الإيمان يُطلَق على الأعمال الظّاهرة ؟ وكيف ذلك ؟
س6: متى يستكمِل الإنسانُ الإيمانَ والإسلامَ الواجِبَيْن عليه ؟

---

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان.

للاستِزادَة حول الفرق بين الإيمان والإسلام انظر:

1- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

2- تفسير ابن كثير - رحمه الله - لسورة الحجرات.

أركانُ الإيمانِ وشُعَبُهُ

أركانُ الإيمانِ:

الأركانُ: جمع رُكْن، ورُكْن الشَّيْءِ جانِبُهُ الأَقْوى.

وأركان الإيمان سِتَّة هي:

1- الإيمان باللهِ تعالى. 2- الإيمان بالملائكةِ.

3-الإيمان بالكُتُب. 4- الإيمان بالرَّسلِ.

5-الإيمان بِاليَوم الآخر. 6- الإيمان بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّه.

والدَّليل عى هذا جواب الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال:« أن تُؤْمِن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمِن بالقدر خيره وشره » (1).

شُعَبُ الإيمانِ:

الشُّعَب: جمع شُعْبة، والشُّعْبَةُ الخصْلَة والجزْء. وشُعَبُ الإيمانِ خِصالُه المتعَدِّدَة وهي كثيرة، فقد جاء في الحديث أنها بِضْعٌ وسبعون شُعْبَة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« الإيمان بِضعٌ (2) وسبعونَ شُعْبَةً، أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، فأفضَلُها قول لا إله إلّا الله، وأدناها إماطَة الأذى عن الطَّريق » (3).

وقد بيَّن الرَّسولُ صلّى الله عليه وسلّم أنَّ أفضلَ هذه الخصالِ: التَّوحِيد المتعيِّن على كلِّ أَحَد، والذي لا يَصِحّ شيءٌ مِن الشُّعَب إلّا بعد صِحَّتِه، وأدناها إزالة ما يُتَوَقَّع ضَرَرُه بالمسلمين

(1) رواه مسلم في صحيحه (37/1)، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(2) والبِضْع في العَدَدِ: مِن الثَّلاث إلى التِّسْع.

(3) رواه مسلم في صحيحه (63/1)، كتاب الإيمان، باب: بيان شُعَب الإيمان وأفضَلها وأدناها.

للاسْتِزادة حَوْلَ شُعَبِ الإيمانِ: انظر:

1- الجامِع لِشُعَب الإيمانِ لِلبَيْهَقي.

2- مختَصر شُعَب الإيمانِ لِلبَيهَقِي لأبي المعالي القَزْويني.

بالإضافَة إلى الكُتُبِ المؤلَّفَة عن الإيمانِ وقد مَرَّ بعضها.

وإماطَة الأَذى عن طَرِيقِهِم، وبين هذين الطَّرَفَيْنِ أعداد مِن الشُّعَبِ، كَحُبِّ الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم، وحُبِّ المرء لأخيهِ كما يحبُّ لِنفسِه، والجهاد وغير ذلك كثير، ولم يرِد التَّصريح بخصالِ الإيمانِ كلِّها.. فاجتَهد العلَماءُ في عدِّها كما فعل البيهقِيُّ في الجامع لشعب الإيمان وغيره.

وشُعَب الإيمانِ المتَعَدِّدة بعضها دَعائِم وأصولٌ يزول الإيمان بزوالها مثل: عدم الإيمان باليوم الآخر قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن: 7].

وبعضها فُروعٌ قد لا يزول الإيمان بزوالها، وإن كان يُوجِب تَركها نَقْصاً في الإيمان أو فِسْقاً مثل: عدم إكرام الجار، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَى الله عليه وسلَم قال:« مَن كان يؤمِن بالله واليوم الآخر فليقَلْ خيراً أو لِيَصْمُت، ومَن كان يُؤْمِن باللهِ واليوم الآخر فَلْيُكْرِم جارَه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِم ضَيْفَه » [1]. وقد يجتمع في الإنسان شُعَبُ إيمانٍ، وشُعَب نِفاقٍ، فيستَحِقّ بِشُعَبِ النِّفاقِ العَذابَ، ولا يخلَّد في النّار لِما في قلبه مِن الإيمان. والله أعلم.

الأسئِلَة:

س1: ما المراد بالشُّعَب ؟ وما الفرق بين شُعَبِ الإيمانِ وأركانِه ؟

س2: ما أركان الإيمان ؟ مع الاستِدْلال على ذلك.

س3: ما معنى البِضْع ؟ وهل أركان الإيمان وشُعَبُه على حَدٍّ سواء في الاعتِقاد والعَمَل ؟

س4: هل يجتمع في شخصٍ إيمانٌ ونِفاقٌ ؟

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤْذِ جارَه، ومُسلِم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الحثّ على إكرام الجارِ والضَّيف لزوم الصَّمت، واللَّفظ له.

نَواقِضُ الإيمانِ

يُقْصدَ بِنَواقِض الإيمانِ ما يُذْهِبُه بعد الدُّخولِ فِيهِ:

ومنها:

1- إنكـار الرُّبوبِيَّة أو شَيْءٌ مِن خَصائِصِها، أو ادِّعاءِ شَيْءٍ منها، أو تَصْدِيق المدَّعي لِـذلك يقـول الله تعـالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: 24].

2- الاستِنْكافُ والاسْتِكبارُ عن عِبادَةِ اللهِ تعالى قال اللّه تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾[النساء: 172 - 173].

3- الشِّرْكُ في عِبادَةِ اللهِ، بأن يَصْرِفَ شَيْئاً مِن العِبادَةِ لِغَيْرِ اللهِ، أو يَتَّخِذَ وَسائِطَ وشُفَعاءَ يَدعُوهم مِن دون اللهِ ويسألهم الشَّفاعة ويَتوكَّل عليهم. يقول الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: 18].

ويقـول الله تعـالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد: 14].

4- جَحْدُ شَيْءٍ ممّا أَثْبَتَه اللهُ تعالى لِنَفْسِه أو أَثْبتَه له رسولُه صلّى الله عليه وسلّم مِن الأسماءِ والصِّفات، وكذلك إثباتُ شَيْءٍ نَفاه اللهُ تعالى عن نفسِه أو نَفاه عنه رسولُه صلّى الله عليه وسلّم، أو تَشْبِيه اللهِ تعالى بِشَيْءٍ مِن مخلوقاتِهِ.

يقول الله تعالى مخاطباً رسولَه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: 1-4].

ويقـول تعـالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180].

ويقـول تعـالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مـريم:

.[65

5- تَكْذِيب الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم في شَيْءٍ ممَّا جاءَ بِه يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فاطر:25 - 26].

6- اعتِقادُ عَدَمِ كَمالِ هَدْيِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، أو اعتِقاد أنَّ حُكْمَ غيرِه أحسَن مِن حُكْمِهِ أو أتمّ أو أشمَلَ لحاجَةِ البَشَرِ، أو اعتِقاد مُساواة حُكْمِ غيرِ اللهِ تعالى لحكمِ اللهِ ورسولِه، أو اعتِقاد جَوازِ الحكم بغيرِ ما أنزَلَ اللهُ تعالى، وإن اعتقَد أنَّ حُكْمَ اللهِ أفضَل.

يقــول الله تعــالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 60].

ويقــول الله تعــالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65].

ويقول تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: 44].

7- عدم تكفِير المشركين، أو الشَّكّ في كُفْرِهم؛ لأنَّ هذا شَكٌّ فيما جاء به الرَّسولُ صلّى الله عليه وسلَّم يقول اللّه تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: 9].

8- الاستِهْزاء باللهِ تعالى، أو بالقرآن الكريم، أو بالدِّين، أو بالثَّوابِ والعِقاب أو نحوِ ذلك. أو الاستِهزاء بِالرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم أو بِأَحَدٍ مِن الأنبياء. سواء أكان ذلك مزاحاً أم جِدّاً، يقول تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: 65 - 66].

9- مُظاهَرَةُ المشركين ومُعاوَنَتُهم على المسلِمين يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: 51].

10- اعْتِقادُ أنَّه يَسَع أحَداً الخروج عن هَدْيِ محمَّد صلّى الله عليه وسلّم ولا يجِب عليه اتِّباعُه. يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: 85].

11- الإعراضُ عن دِينِ اللهِ تعالى لا يَتعَلَّمُه ولا يَعْمَل بِه يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 22].

12- مَن أَبْغَضَ شيئاً ممّا جاء بِه الرَّسولُ صلّى الله عليه وسلّم، ولو عَمِلَ بِه، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: 9].

13- فِعْلُ السِّحْرِ ومنه الصَّرْفُ والعَطْفُ أو الرِّضى بِه، والدَّليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ [البقرة: 102]. [1]

هذه مِن أبرَزِ النَّواقِضِ، وهناك نَواقِضُ كثِيرَة تَرجِع في جملَتِها إلى بعض ما ذكر مِن ذلك: جُحودُ القرآنِ أو شَيْء منه، أو الشَّكِّ في إعجازِهِ، أو امْتِهان المصحَفِ أو جُزْء منه، أو تحلِيلِ شَيْء مجمَعٍ على تحرِيمه، كالزّنا وشُرْبِ الخمْرِ، أو الطَّعْنِ في الدِّينِ، أو سَبِّه، أو تَرْكِ الصَّلاةِ. نعوذ بالله مِن الضَّلالِ. والله أعلم.

الأسئِلَة:

س1: ما الدَّليل على أنَّ إنكارَ الرُّبوبيَّة ناقِضٌ لِلإيمان ؟

س2: ما الفرق بين إِنكارِ الرُّبوبيَّة، وإِنكارِ اسْتِحقاقِه – تعالى – لِلعِبادَةِ ؟

س3: ما حُكْم اتخاذِ الوَسائِطِ والشُّفَعاء في عِبادَةِ اللهِ تعالى؟

س4: هل يصِحّ التَّحاكُم إلى غيرِ شَرْعِ اللهِ ؟ وما الدَّليل ؟

س5: بيِّن حُكْمَ الأُمورِ التّالِيَة مع الاسْتِدلالِ:

1- الاسْتِهزاءُ بِالله، أو بالقرآنِ، أو بِالرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم مازِحاً. مع الاستِدلالِ على ما تقول.

2- اعتِقاد أنَّه يَسَع أحداً الخروج عن هَدْي محمَّد صلّى الله عليه وسلّم.

3-اعتِقاد سُقوطِ التَّكالِيفِ أو بعضِها عن أَحَدٍ مِن النّاس.

س6: مثِّل على نَواقِضِ الإِيمانِ العَمَلِيَّة.

---

(1) انظر حول ذلك:" شرح نواقض الإسلام " للشيخ صالح الفوزان.

حُكْمُ مُرْتَكِبِ الكَبِيرَةِ

أقسامُ الذُّنوبِ:

تَنقَسِم الذُّنوبُ إلى قِسْمَيْنِ:

أ – **الكَبائِرُ**: جمع كَبِيرَة، وهي كلُّ ذَنْبٍ تَرَتَّبَ عليهِ حَدٌّ في الدُّنيا، أو تَوَعَّدَ اللهُ عليه بِنارٍ أو لَعْنٍ أو غَضَبٍ. ومِثال الكَبِيرَة: ما ذُكِرَ في حَدِيثِ أبي هريرة ﷺ عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال:« اجْتَنِبوا السَّبْعَ الموبِقات، قالوا: وما هنّ ؟ قال: الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النَّفس التي حرَّمَ اللهُ إلّا بِالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكل مال اليَتِيم، والتَّولي يوم الزَّحْف، وقَذْفُ المحصناتِ المؤمِناتِ الغافِلات » (1).

ب – **الصَّغائِر**: جمع صَغيرة، وهي كلُّ ذَنْبٍ ليس فيه حَدٌّ في الدُّنيا ولا وَعِيدٌ خاصٌّ في الآخِرَة.

ومثال الصَّغيرة: ما روى أبو هريرة ﷺ أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال:« إنَّ اللهَ كتَبَ على ابن آدَم نَصِيبَه مِن الزِّنى مُدْرِكٌ ذلك لا محالَة، فالعَيْنانِ زِناهما النَّظَر، والأُذُنانِ زِناهما الاسْتِماع، واللِّسان زِناه الكَلام، واليَدُ زِناها البَطْشُ، والرِّجْلُ زِناها الخُطا، والقَلْبُ يَهْوى ويَتَمَنَّى، ويُصَدِّق ذلك الفَرْجُ ويُكَذِّبه » (2). ويدلُّ على تَقْسِيم الذُّنوبِ إلى كَبائِرَ وصَغائِرَ قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: 32].

مَذْهَبُ أهلِ السُّنَّةِ في مُرْتَكِبِ الكَبِيرَةِ:

مُرْتَكِبُ الكَبِيرَةِ لا يُكَفَّرُ بها إذا كان مِن أهلِ التَّوحِيدِ والإخلاصِ؛ بل هو مُؤْمِنٌ بإيمانِه

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب: قوله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الكبائر وأكبرها، برقم (89).

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: قُدِّر على ابن آدَمَ حظُّه مِن الزِّنى وغيرِه، برقم (2657).

فاسِقٌ بِكَبِيرَتِه تحت مَشِيئَةِ اللهِ تعالى، إن شاءَ عَفا عنه، وإن شاءَ عَذَّبَه في النّار على ما كان مِن العَمَلِ، ثم يخرِجُه منها فلا يخَلِّدُه فيها، خِلافاً لِغُلاةِ الفِرَقِ الضّالَّة في ذلك، وهم:

1- **المُرْجِئَة**: وهم القائلون: بأنَّه لا يَضُرُّ مع الإيمانِ مَعْصِيَةٌ كما لا يَنْفَع مع الكُفْرِ طاعَةٌ وعلى قولهم يكون إيمان أفسَقُ النّاسِ كإيمانِ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتَصَوُّر هذا كافٍ في بَيانِ بُطْلانِه.

2- **المُعْتَزِلَة**: وهم الذين يقولون بأنَّ مُرتَكِبَ الكَبِيرَةِ لا مُؤْمِنٌ ولا كافِرٌ؛ بل هو في مَنْزِلَةٍ بين المنزِلَتَيْن، وإذا خرَج مِن الدُّنيا مِن غَيْرِ تَوْبَةٍ فهو مِن المخَلَّدِين في النّارِ.

3- **الخَوارِج**: وهم القائِلون: بأنَّ مُرْتَكِبَ الكَبِيرَةِ كافِرٌ مخَلَّدٌ في النّار.

وقول المرجئة والمعتزِلة والخوارِج مخالِفٌ لِما دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماعُ سَلَفِ الأُمَّةِ.

أَدِلَّة أهلِ السُّنَّة:

استَدَلَّ أهلُ السُّنَّةِ بِأَدِلَّة كثيرَةٍ جِداً مِن الكتاب الكريم ومِن السُّنَّةِ المطَهَّرَة، منها:

1- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: 44].

وجه الاستِدلال: تدل الآية: على أنَّ ما دون الشِّرك تحت مَشِيئَةِ اللهِ، إن شاء عَفا عنه، وإن شاء عَذَّبَه. فدلَّ على عَدَمِ كُفْرِه بفِعْلِ ما دون الشِّرك.

2- قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[الحجرات: 9 - 10].

وَجْه الاستِدلال: أثبتَ اللهُ تعالى الإيمانَ لِمُرتَكِبِي مَعْصِيَة الاقتِتال مِن المؤمِنِين، والباغِي مِن بعض الطَّوائِف على بعضٍ وهي مِن الكَبائِر، وجَعَلَهم إخوَة. وأمر تعالى المؤمنين بالإصلاحِ بين إخوتهم في الإيمان.

3- روى مسلم بسنَدِه عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال:« يُدْخِل اللهُ أهلَ الجنَّةِ الجنَّةَ، ويُدْخِل مَن يَشاء بِرَحمَتِه، ويُدْخِل أهلَ النّارِ النّارَ. ثم يقول: انظُروا مَن وجدتم في قلبِه مِثقالَ حبَّة مِن خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ فأخرِجوه، فيُخرجون منها حُمَماً قد

امتُحِشُوا [1] فَيُلْقَونَ في نهر الحياة، أو الحيا [2] فَيَنْبُتون فيه كما تَنْبُت الحبَّةُ إلى جانِب السَّيلِ.. ألم تَرَوْها كيف تخرُج صَفراءَ مُلْتَوِيَّةً » [3].

وَجْه الاستِدلالِ في الحديث: عَدَمُ تخليدِ أصحابِ الذُّنوب في النّار، حيث يخرج منها مَن في قلبِه أدنى إيمان، ولا يكون الإيمانُ بهذا القَدْرِ إلّا بِالمعاصِي فِعْلاً لِلمنهيّات أو تركاً للواجِبات.

كما يدلُّ الحديث وما في معناه مِن الأدلة على أنَّ الإيمانَ ينقصُ حتى يكون قَدْر مِثْقال حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ، وهذا دليل على أنَّ الإيمانَ يَزِيدُ ويَنْقُص، وأنَّ النَاسَ في الإيمانِ مُتَفاوِتُونَ.

الأسئِلَة:

س1: عرِّف كُلّاً مِن الكَبِيرَةِ والصَّغِيرَةِ مع التَّمثِيل والاسْتِدلالِ.

س2: ما مذهب أهل السُّنَّة في مُرْتَكِبِ الكبيرَةِ ؟

س3: أكمِل ما يأتي:

المرجِئة هم القائلون: بأنَّه لا يضرُّ..........................

بينما المعتَزِلة يقولون: بأنَّ مرتَكِبَ الكَبِيرة.....................

أمّا الخوارِج فيقولون: بأنَّ مُرْتَكِبَ الكَبِيرَةِ.....................

س4: صحِّح العباراتِ الخاطِئَة فيما يأتي:

أ- يقول المعتزله والخوارج: إنَّ مُرْتَكِبَ الكَبِيرَةِ تحت مَشِيئَةِ اللهِ، إن شاءَ عذَّبَه، وإن شاء غَفَرَ له.

ب- يكون إيمان الفاسِقِ عند المرجِئَة كإيمان أبي بكر وعمر.

ج- مُرتَكِب الكَبِيرَة إذا مات مِن غَيْرِ تَوْبَةٍ فهو مخلَّدٌ في النّارِ.

---

(1) امتُحِشوا بمعنى: احْتَرَقُوا..

(2) المراد بالحيا: المطَر، سُمِّي بذلك؛ لأنها تحيا بِهِ الأرض.

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إثبات الشَّفاعَة وإخراج الموحِّدين مِن النّار (172/1)، وانظر صحيح البخاري (161/4-158). وللاسْتِزادة في موضوع الكبائر يراجَع:

1- الكبائِر للحافظ الذَّهبي رحمه الله.

2- الكبائِر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

3- الزَّواجِر عن ارتكابِ الكبائِر لابن حجر الهيتمي رحمه الله.

أَثَرُ المَعْصِيَة على الإيمانِ

المعْصِيَة: هي خِلافُ الطّاعَةِ، سواء كان تَرْكاً لأمْرٍ، أو ارتكاباً لِنَهْيٍ.

والإيمان -كما سَبَق معرفة ذلك- بِضْعٌ وسَبعون شُعْبَةً، أعلاها قول لا إله إلّا الله، وأدناها إماطَة الأذى عن الطَّريق. فلَيْسَت شُعَبُه على حَدٍّ سَواء عِظَماً وقَدْراً، وعلى هذا تختَلِف المعصِيَة التي هي الخروج عن الطّاعَة.

فقد تكون ناقِضَةً للإيمان كما أخبر الله تعالى عن فرعون بقوله:﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾[النازعات: 21].

وقد تكون فيما دون ذلك، فلا يحصُل بها خُروجٌ مِن الإيمانِ، ولكنَّها تَقْدَحُ في ذلك بالنَّقْصِ والتَّشويهِ، فمَن أتى الكَبائِر كالزِّنا والسَّرقة وشرب الخمر ونحو ذلك غير معتقدٍ حِلَّها ذهَب ما في قلبه مِن الخشية والخشوع والنُّور وإن بَقِيَ أصلُ التَّصدِيقِ في قَلْبِه، فإن أنابَ إلى الله تعالى وعَمِل الصّالحات رَجَع إلى قَلْبِه نُورُه وخَشْيَتُه، وإن تمادَى في المعاصي زادَ الرّان [1] على قلبِه إلى أن يختِمَ عليه - والعياذ بالله - فيصبح لا يَعْرِف مَعروفاً، ولا يُنْكِر مُنكراً.

روى الإمام أحمد رحمه الله وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« إنَّ المؤمِن إذا أذنَب كانت نكتة سَوداء في قَلْبِه، فإن تاب ونَزَع واستَغْفَر صُقِلَ قَلْبُه، وإن زاد زادَت حتى يَعْلو قلبه ذاك الرّانُ الذي ذكر الله عز وجل في القرآن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14] [2].

(1) الرّان: الطَبْعُ والدَّنَس.

(2) رواه أحمد في مسنده (178/2)، وانظر: المسند بتحقيق أحمد شاكر حديث رقم (7939)، وهو صَحيح.

الإيمانُ بِالغَيْبِ

مفهومه وأثره في عقيدة المسلم:

أوّلاً: الإيمانُ بالغَيْبِ:

الغَيْبُ مَصْدَرٌ يُسْتَعْمَل في كُلِّ غائِبٍ عن الحاسَّة، عُلِمَ أو لم يُعْلَم. والإيمان بِالغَيْبِ، أيْ: بما لا يَقَع تحتَ الحواسّ، ولا يُدرَك بِبَداهَة العقول، إنما يعلم بخبَر الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

والإيمان بالغيب مِن صفات المؤمن كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[البقرة: 1 – 3].

وقيل في معنى إيمانهم بالغَيْبِ رأيان:

أ- أنهم يُؤمِنون بما كان غائِباً عن الحاسَّةِ، ممّا جاء الخبَر بهِ عن الله تعالى وعن رُسُلِه عليهم الصّلاة والسّلام.

ب- أنهم يُؤمِنونَ باللهِ تعالى حال غَيْبَتِهم عنكم كما يُؤمِنون بِه حالَ الحضُور، بخلافِ المنافقين، ولا مُنافاةَ بين المعنَيَيْن؛ إذة لا بُدَّ مِن الأمرين في المؤمِن.

ثانياً: أثَر الإيمانِ بالغَيْبِ في عَقِيدَةِ المُسلِمِ:

للإيمانِ بِالغَيْبِ آثارٌ كبيرةٌ جِداً تَنْعَكِسُ على سُلوكِ الإنسانِ، وسِيرتِه في الحياةِ، فهِي دافِعٌ قَوِيٌّ لأعمالِ الخير ومُكافَحَةِ الشَّرِّ، منها:

أ- الإخلاص في العَمَل: فإنَّ المؤمِنَ بالله وثوابِه وعقابِه سَيَمْتَثِل أوامِرَ اللهِ، ويحذر مِن نَواهِيه رَغْبَةً في الجزاءِ والشُّكْرِ الدُّنْيَوِيِّ مِن النّاس كما أخبَرَ اللهُ تعالى عن عبادِه المطْعِمِينَ مع حبِّهم له بقوله عنهم: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾[الإنسان: 8 – 9].

ب- القُوَّة في الحقّ: ما وَعَد بِه أهلَ الإيمانِ يجعَل المرءَ يَسِيرُ في امتِثالِ أوامِر الله تعالى، وبيانِ الحقِّ والدَّعْوَةِ إليه، وبَيانِ الباطِل والتَّحذِير منه ومحارَبَتِه، وإنْ عُدِمَ المعِينُ فهو قَوِيٌّ بِاللهِ تعالى تهون عليه الحياة الدُّنيا وعذابَها بجانِب الحياة الآخِرَة. وقد أخبرَ اللهُ تعالى عن خَلِيلِه

إبراهيمَ عليه السلام أنَّه قال لقومه: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨ ﴾ [الأنبياء: 57 - 58].

وكما أخبر عن سَحَرة فِرعون لَمّا آمَنوا كيف اسْتَهانوا بِتَعْذِيبِ فِرْعَونَ لهم وقالوا فيما أخبر الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦ ﴾ [الأعراف: 125 - 126].

ج- احتِقارُ المظاهِرِ الدُّنْيَويَّة: وهذا يكون نتيجَة عمران القَلْبِ بالإيمانِ بِزوال الدُّنيا ومَلَذّاتها، وأنَّ الحياةَ الآخِرَةَ هي حياةُ البَقاءِ والسَّعادَةِ، وليس مِن العَقْلِ إيثارُ الفاني على الباقي، يقول تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 64].

وأخبر – سبحانه وتعالى – عن امرأَة فِرْعَون التي اسْتَهانت بما هي فيه مِن مَتاعِ الحياة الدُّنيا، وطَلَبَت النَّجاةَ مِن فِرْعَوْن وعَمَلِه ابتغاءَ الدّارِ الآخِرَة لَمّا اسْتَنار قَلْبُها بِنُورِ الإيمانِ بالله تعالى والدّارِ الآخِرَة بقوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: 11].

د- ذهابُ الغِلِّ والأحقادِ: إنَّ السَّعْيَ لِتَحقيقِ رَغباتِ النُّفوسِ بغيرِ طُرُقِها الصَّحيحَة يُورِث الغِلَّ والأحقادَ بين النّاس، والإيمان بالغَيْبِ مِن وَعْدِ اللهِ تعالى وَوَعِيدِه يجعَل المرءَ محاسِباً لِنَفْسِه في جميع تَصرُّفاتِه طَمَعاً في الثّوابِ وخَوْفاً مِن العِقابِ، والإيمان الصّادِق بِتَحقُّقِ الثّوابِ يجعَل النَّفْسَ المؤمِنَة مُنْدَفِعَة إلى الإحسانِ والإيثارِ طَمَعاً في الثّوابِ الباقِي، الأَمْرُ الذي تَصْفو معه النُّفوس وتسود المحبَّة بين الأفراد والجماعات كما أخبر الله تعالى عن الذين امتثلوا ذلك بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [الحشر: 9 - 10].

تلك بعضُ آثارِ الإيمانِ بِالغَيْبِ، ولا تَتَخلَّف إلّا بِضَعْفِ الإيمانِ، وإذا تخلَّفت عمَّ في المجتمَعِ الخوفُ.

الأسئِلَة:

س1: ما المعصِية ؟ ومتى تكون مخرِجَة مِن الدِّين ؟

س2: ما أثَر المعصِيَة على الإيمان ؟

س3: ما معنى الإيمان بالغَيب، وما تفسِير قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ ؟

س4: ما أثَر الإيمانِ بالغَيْبِ في عَقِيدَة المسلِمِ ؟

س5: لماذا رغِبَت امرأةُ فِرعَون عمّا بين يَدَيْها مِن مُتَعِ الحياةِ وطلَبَت النَّجاةَ مِن فِرْعَوْن وعَمَلِه ؟

الباب الثاني

أركان الإيمان

الركن الأول: الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله هو: الاعتِقاد الجازِم بأنَّ اللهَ ربُّ كلِّ شَيْءٍ ومَلِيكُه، وأنَّه الخالِقُ المدَبِّر لِلكَوْنِ كلِّه، وأنَّه هو الذي يستَحِقُّ العِبادَة وحدَه لا شَريكَ له، وأنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ سِواه فهو باطِلٌ وعِبادَتُه باطِلَةٌ، وأنَّه سبحانَه مُتَّصِفٌ بِصِفاتِ الكمالِ ونُعوتِ الجلالِ، مُنَزَّهٌ عن كلِّ نَقْصٍ وعَيْبٍ.

وهذا هو التَّوحِيد بأنواعِه الثَّلاثَة: تَوحِيد الرُّبوبِيَّة، وتوحيد الأُلوهِيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفات.

1- تَوحِيدُ الرُّبوبِيَّة:

هو إفرادُ اللهِ عزَّ وجلَّ بالخَلْقِ والملكِ والتَّدبير.

فإفراده بالخلق: أن يعتَقِدَ الإنسانُ أنَّه لا خالِقَ إلّا الله، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: 54].

وقال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: 3].

وأمّا إفرادُه بالملك فأَن نَعْتَقِدَ أنَّه لا يملِك الخلقَ إلّا الله، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: 189].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المؤمنون: 88].

وأمّا إفرادُ اللهِ بالتَّدبير فهو أن يعتَقِدَ الإنسانُ أنَّه لا مُدَبِّرَ إلّا اللهُ وحدَه، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31].

وهذا القِسم مِن التَّوحِيد لم يُعارِض فيه المشرِكون الذين بُعِثَ فيهم الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم؛ بل كانوا مُقرِّين به قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9].

ولم يُنكِرْه أَحَدٌ مَعلومٌ مِن بني آدَمَ إلّا ما كان مِن فِرْعَون، فإنَّه أنكَرَه مُكابَرَةً، قال تعالى حكاية عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: 24].

وأنكَر المجوس توحِيدَ الرُّبوبِيَّة على سبيل التَّشريكِ، حيث قالوا: إنّ لِلعالم خالِقَيْن هما

الظُّلْمَة والنُّورُ، وإن جعلوا النُّورَ خيراً مِن الظُّلمَةِ.

2- تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّة:

ويُقال له تَوحِيد العِبادَة؛ فبِاعتِبار إضافَتِه إلى اللهِ يسمّى توحِيد الأُلوهِيَّة، وباعتِبار إضافَتِه إلى الخلق يُسمّى تَوحِيد العِبادَة، وهو: إفراد اللهِ عزَّ وجلَّ بِالعِبادَة. فالمستَحِقُّ لِلعِبادَة هو الله تعالى، وكلُّ معبودٍ سِواه فعِبادَتُه باطِلَة. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: 30].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: 22].

وهذا القِسم كَفرَ بِه وجَحَدَهُ المشركون، ومِن أجلِ ذلك أَرْسَل اللهُ الرُّسُلَ، وأنزَلَ الكُتبَ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25].

3- توحِيد الأسماءِ والصِّفات:

هو الإيمان بأسماء اللهِ وصِفاته كما جاءت في القرآن العظيم، وسنَّة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم على ما يَلِيق باللهِ سبحانه، وذلك بإثباتِ ما أثبَتَه اللهُ تعالى لِنَفْسِه أو أثبَتَه له رسولُه صلّى الله عليه وسلّم، ونَفْيُ ما نَفاه اللهُ تعالى عن نفسِه أو نَفاه عنه رسولُه صلّى الله عليه وسلّم مِن غيرِ تحريفٍ ولا تَعطِيلٍ، ومِن غيرِ تكييفٍ ولا تمثِيلٍ.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].

وهذا النَّوع من أنواع التَّوحيد هو الذي ضَلَّت فيه بعض الطَّوائف، وانقسَموا فيه إلى فِرَقٍ كَثِيرَة.

الأسئِلَة:

س1: ما مقتضى الإيمان بالله تعالى ؟

س2: ما المراد بِتوحِيد الرُّبوبِيَّة ؟ وما الفرق بينه وبين توحيد الأُلوهِيَّة ؟

س3: هل أنكَر أحَدٌ مِن النّاس توحيدَ الرُّبوبِيَّة ؟ وَضِّح ذلك.

س4: ما معنى الإيمان بأسماءِ الله وصِفاتِه ؟

قَواعِد في أسماءِ اللهِ تعالى

1- أسماءُ اللهِ تعالى كلها حسنى؛ أي: بالِغَةٌ في الحسْنِ غايَتَه، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وذلك لأنها مُتضَمِّنة لِصِفاتٍ كامِلَةٍ لا نقصَ فيها بِوَجْهٍ مِن الوُجوهِ.

2- أسماءُ اللهِ أعلامٌ وأوصافٌ، أعلامٌ باعتِبارِ دَلالَتِها على الذّاتِ، وأوصافٌ باعتِبار ما دلَّت عليه مِن المعاني. وهي بالاعتبار الأوَّلِ مُترادِفَةٌ؛ لِدلالَتِها على مسمّى واحِد، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، وبالاعتِبارِ الثّاني مُتَبايِنَة؛ لِدَلالَة كلِّ واحِدٍ منها على مَعناه الخاصّ.

3- أسماء الله تعالى إن دلَّت على وَصْفٍ مُتَعَدٍّ تَضَمَّنَت ثَلاثَة أُمورٍ:

أ- ثُبوتُ ذلك الاسمِ للهِ عزَّ وجلَّ. ب- ثبوت الصِّفة التي تضمَّنَها للهِ عزّ وجَلّ.

ج- ثُبوتُ حُكْمِها ومُقْتَضاها.

مثال ذلك: « السَّميع » يتَضمَّن إثباتَ السَّميع اسماً لله تعالى، وإثبات السَّمع صِفَة لله، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنَّه يَسْمَعُ السِّرَّ والنَّجوى.

وإن دلَّت على وَصْفٍ غير مُتَعَدٍّ تَضَمَّنَت أمرين:

أ- ثُبوتُ ذلك الاسْمِ للهِ عزَّ وجلَّ. ب- ثُبوتُ الصِّفَةِ التي تَضَمَّنَها للهِ عزَّ وجلَّ.

مثال ذلك: « الحيّ » يتضمَّن إثباتَ الحي اسماً للهِ عزّ وجلّ، وإثباتَ صِفَةِ الحياةِ له.

4- أسماءُ الله توقِيفِيَّة لا مجالَ لِلعَقْلِ فيها، وعلى هذا فلا يثبُت مِنها إلّا ما جاء في الكتاب والسُّنَّة ولا يُزاد فيها ولا يُنْقَص؛ لأنَّ العقلَ لا يمكِنُه إدراك ما يستَحِقُّه الله مِن الأسماء.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33].

5- أسماءُ اللهِ غيرُ محصورَة بِعَدَدٍ معيَّنٍ لقولِه صلّى الله عليه وسلّم في الحديث المشهور:« أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلْتَه في كِتابِك، أو علَّمتَه أحداً مِن خلقِك، أو استَأْثَرت به في عِلْمِ الغَيْبِ عندك... الحديث » [1]. أمّا قوله صلّى الله عليه وسلّم:« إنَّ للهِ

---

(1) رواه أحمد (391/1، و452)، وابن حبان (253/3) حديث رقم (972)، والحاكم (509/1) وصحَّحاه مِن ==

تِسْعَةً وتِسْعِين اسماً مائِة إلّا واحِداً مَن أحصاها دَخَلَ الجنَّة » [1].

فلا يدلُّ على حَصْرِ الأسماءِ بهذا العَدَد، وإنما معنى الحديث أنَّ هذا العَدَد مِن شَأْنِه أنَّ مَن أحصاه دَخَل الجنَّة.

6- الإلحاد في أسماءِ الله تعالى هو: الميلُ بها عمّا يجِب فيها، وهو أنواع:

أ- أن يُنكِرَ شَيئاً مِنها أو ممّا دلَّت عليه مِن الصِّفات والأحكام، كما فَعَل أهل التَّعطيلِ مِن الجهمِيَّة وغيرِهم، وإنكارُ شَيْءٍ مِن ذلك مَيْلٌ بها عمّا يجِب فيها مِن الإيمان والإثباتِ.

ب- أن يجعلَها دالَّة على صِفات تُشابِهُ صِفاتِ المخلوقين، كما فعل أهل التَّشبِيه، وذلك مَيْلٌ بها عمّا يجِب فيها مِن الإثباتِ بِلا تَشْبِيهٍ.

ج- أن يسمَّى اللهُ تعالى بما لم يسَمّ بِه نفسَه كتَسمِيَة النَّصارى له: الأب، وذلك لأنَّ أسماءَ الله تعالى توقِيفِيَّة، فتسمِيَة اللهِ تعالى بما لم يسَمّ بِه نفسَه مَيْلٌ بها عمّا يجِب فيها، كما أنَّ هذه الأسماءَ التي سمّوه بها نفسها باطِلَة يُنَزَّه اللهُ تعالى عنها.

د- أن يُشْتَقَّ مِن أسمائِه أسماء للأصنامِ كما فَعَل المشركون في اشْتِقاقِ العُزّى مِن العَزِيز واشتِقاق اللّات مِن الإله، وذلك لأنَّ أسماءَ الله تعالى مختَصَّةٌ بِه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8]. وتسمِيَة غيرِ اللهِ بما يختَصُّ باللهِ عزَّ وجلَّ مَيْلٌ بها عمّا يجِب فيها.

والإلحادُ بجميعِ أنواعِه محرَّم؛ لأنَّ اللهَ تعالى هَدَّدَ الملحِدِين بقوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180].

==

حديث ابن مَسعود رضي الله عنه.

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: إنَّ للهِ مائَة اسمٍ إلّا واحِد (13/377) برقم (7392)، ومسلم، كتاب الذِّكر والدعاء، باب: في أسماء الله وفضل مَن أحصاها.

قَواعِدُ في صِفاتِ اللهِ تعالى

1- صِفاتُ اللهِ تعالى كلُّها صِفاتُ كَمالٍ لا نَقْصَ فيها بِوَجْهٍ مِن الوُجوه، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: 60]، والمثَل الأعلى هو الوَصْفُ الأعلى.

2- باب الصِّفات أوسَع مِن باب الأسماء؛ لأنَّ كلَّ اسمٍ مُتَضَمِّن لِصِفَةٍ كما سبق، وليس كلُّ الصِّفاتِ يُشتَقُّ منها أسماء.

3- صِفاتُ اللهِ تعالى تَنقَسِم إلى قِسْمَيْن: ثُبُوتِيَّة وسَلْبِيَّة:

فالثُّبوتِيَّة: ما أثبَتَه اللهُ تعالى لِنفْسِه في كتابِه أو على لسانِ رسولِه صلّى الله عليه وسلّم، فيجِب إثباتها للهِ تعالى حَقِيقَةً على الوَجْهِ اللّائِقِ بِه.

والصِّفات السَّلْبِيَّة هي: ما نَفاهُ اللهُ سبحانَه عن نفسِه في كِتابِه أو على لِسانِ رسولِه صلّى الله عليه وسلَم، فيجِب نَفْيُها عن اللهِ تعالى مع إثباتِ ضِدِّها على الوَجْهِ الأكْمَل؛ لأنَّ المرادَ بيان انتِفائِه لِثُبوت كَمالِ ضِدِّه؛ إذ إنَّ مجرَّدَ النَّفْيِ ليس بِكمالٍ.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]، فنفي الموت عنه يتضَمَّن كمالَ حَياتِه.

4- الصِّفات الثُّبوتِيَّة صِفاتُ مَدْحٍ وكَمالٍ، فكلّما كَثُرَت وتَنَوَّعَت دلالاتها ظَهَر مِن كَمالِ الموصوفِ بها ما هو أكثَر، ولهذا كانت الصِّفات الثُّبوتِيَّة التي أخبَرَ اللهُ بها عن نفسِه أكثَر بِكَثِيرٍ مِن الصِّفاتِ السَّلبِيَّة.

أما الصِّفات السَّلْبِيَّة فلم تُذكَر غالِباً إلّا في الأحوال التّالِيَة:

أ- بَيانُ عُمومِ كَمالِه كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: 4].

ب- نَفْيُ ما ادَّعاه في حَقِّه الكاذِبون كما في قوله تعالى: ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ ﴾ [مريم: 91 - 92].

ج- نَفْيُ تَوَهُّمِ النَّقْصِ في قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: 38].

5- الصِّفات الثُّبوتِيَّة تنقَسِم إلى قسمين: ذاتيَّة وفِعْلِيَّة:

فالذّاتيَّة هي: التي لم يَزَلْ ولا يَزالُ مُتَّصِفاً بها، كالعِلم والقُدرَة والسَّمع والبَصَر والعِزَّة والعُلُوّ، ومنها الصِّفات الخبريَّة، كالوَجْهِ واليَدَيْنِ والعَيْنَيْنِ.

والفِعْلِيَّة هي: التي تَتَعَلَّق بمشِيئَتِه إن شاء فَعَلها، وإن شاءَ لم يَفْعَلْها، كالاستِواء على العَرْشِ، والنُّزولِ إلى السَّماء الدُّنيا.

وقد تكون الصِّفَة ذاتيَةً فِعْلِيَّةً بِاعتِبارَيْنِ كالكَلامِ؛ فإنَّه باعتِبار أصلِه صِفَةٌ ذاتيَّةٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يَزَلْ مُتَكَلِّماً، وباعتِبارِ آحادِ الكَلامِ صِفَة فِعْلِيَّة؛ لأنَّ الكَلامَ يَتَعَلَّق بمشِيئَتِه، يتَكَلَّم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

6- يَلْزم في إثباتِ الصِّفات التَّخَلِّي عن محذُورَيْن عَظِيمَيْن:

أحدُهما: التَّمثِيل. والثّاني: التَّكْيِيف.

فأمّا التَّمثِيل فهو: اعتِقادُ المثبِتِ أنَّ ما أثبتَه مِن صِفاتِ اللهِ تعالى مماثِلٌ لِصِفاتِ المخلوقين، وهذا اعتِقادٌ باطِلٌ.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 4]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65].

وأما التَّكيِيفُ فهو: أن يَعْتَقِد المثبِتُ كَيْفِيَّة صِفاتِ اللهِ تعالى أنَّها كذا وكذا مِن غيرِ أن يُقَيِّدَها بمماثِلٍ، وهذا اعتِقاد باطِلٌ.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36].

ومِن المعلوم أنَّه لا عِلْمَ لنا بِكَيْفِيَّة صِفاتِ رَبِّنا عزَّ وجلَّ.

وقال الإمام مالك - رحمه الله - لَمّا سُئِل عن الاستواء: الاستِواءُ غير مجهولٍ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ.

7- صِفاتُ اللهِ تَوْقِيفِيَّة لا مجالَ لِلْعَقْلِ فيها، فلا نُثْبِت للهِ تعالى مِن الصِّفاتِ إلّا ما دلَّ الكتاب والسُّنَّة على ثُبوتِه.

الأسئِلَة:

س:1 ما معنى كون أسماءِ اللهِ حسنى ؟، وهل هي أعلامٌ أو أوصافٌ ؟

س2: بيِّن ماذا تتَضَمَّن أسماء الله تعالى بالتَّفصِيل والتَّمثيل.

س3: هل أسماءُ اللهِ تعالى محصورة بعَدَدٍ ؟ وضِّح ذلك مع الدَّليل.

س4: ما حكم الإلحادِ في أسماءِ الله تعالى، مُستَدِلاً على ما تقول ؟، وما أنواعُه ؟

س5: لماذا كان باب الصِّفات أوسَع مِن باب الأسماء ؟

س6: ما المراد بصِفات اللهِ السَّلبِيَّة ؟، وما الذي يجب فيها، مع التَّمثيل ؟

س7: بيِّن الأحوالَ التي ذكِرَت فيها الصِّفات السَّلْبِيَّة للهِ في القرآن.

س8: ما الفرق بين كلٍّ مما يلي:

أ- الصِّفات الذّاتِيَّة والفِعْلِيَّة، مع التَّمثِيل.

ب- التَّمثِيل في صِفاتِ اللهِ والتَّكيِيف.

قَوْلُ الفِرَقِ الضّالَّة في أسماءِ اللهِ وصِفاتِهِ مَعَ الرَّدِّ عَلَيْها

المنْحرِفون عن مَنْهَجِ السَّلَفِ في أسماءِ اللهِ وصِفاتِهِ طائِفَتان: المشَبِّهَة والمعَطِّلَة.

المشَبِّهَة (1): شَبَّهوا اللهَ بخلقِه، جعَلوا صِفاته مِن جِنْسِ صِفاتِ المخلوقين، ولذلك سُمُّوا بِالمشَبِّهَة.

المعطِّلَة: نَفَوْا عن اللهِ ما وَصَفَ به نفسَه أو وَصَفَه بِه رسولُه صلَّى الله عليه وسلَّم مِن صِفاتِ الكَمالِ زاعِمشين أنَّ إثباتَها يقتَضِي تَشْبِيهَ اللهِ بخَلْقِه، فهم على طَرفي نَقِيضٍ مع المشَبِّهَة، وهم في هذا التَّعطِيلِ مُتَفاوِتُون:

أ- فالجهمية (2): يَنْفُون الأسماءَ والصِّفات.

ب- والمعتَزِلَة (3): يُثْبِتون الأسماءَ مجرَّدَةً عن مَعانِيها ويَنْفُون الصِّفات.

ج- والأشاعِرَة (4) والماتريدية (5): يُثْبِتُون الأسماءَ وبَعْضَ الصِّفات، ويَنْفُون البَعْضَ الآخر.

والشُّبهَة التي بنى عليها المعطِّلَة مَذاهِبَهم أنَّ المخلوقين يُسَمَّوْن ويُوصَفُون بِبَعْضِ تلك الأسماء والصِّفات، فيلزم مِن الاشتِراك في لَفْظِ الاسمِ والصِّفة ومعناهما الاشتِراك في حَقِيقَتِهِما، وهذا يلزَم مِنه تَشْبِيه المخلوقِ بِالخالِقِ في نَظَرِهِم.

ولذا رأوا أنّه لا بدَّ مِن نَفيِها وتعطِيلها تنزيهاً لله عن التَّشبِيه، ووقَفوا مِن النُّصوصِ الدّالَّة على إثباتها أَحَد مَوْقِفَين:

1- طريقضة التَّأويل: أي تَأوِيل النُّصوصِ الوارِدَة فيها عن ظاهِرِها، كتَأوِيلِ الوَجْهِ بِالنِّعْمَة، والاستِواءِ بالاستِيلاءِ.

2- طَرِيقَة التَّفويض: أي تَفْوِيض مَعاني هذه النُّصوصِ إلى الله عزَّ وجلَّ، فيقولون الله أعلم

---

(1) مِن المشَبِّهَة مُقاتِل بن سُلَيمان، ومِنهم الهشامِيَّة المنسوبَة إلى هِشام الجوالِيقِيّ وغيرهم.

(2) الجهمِيَّة: أتباع الجهم بن صَفوان مِن أشَدِّ الفِرَقِ المنحَرِفَة غُلُوّاً في نَفْيِ أسماءِ اللهِ وصِفاتِه.

(3) المعتَزِلَة: أتباع واصِل بن عطاء الغَزَّال الذي اعتَزَلَ مجلِسَ الحسَن البَصريّ رحمه الله.

(4) الأشاعِرة: أتباع أبي الحسن الأشعري قبل رُجوعِه إلى مَذْهب أهل السُّنَّة، ولم يرجعوا عمّا رجَع عنه.

(5) الماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم فرقة كالأشاعِرة ولكنَّهم أقرب إلى المعتزِلَة، فهم بين الأشاعِرَة والمعتَزِلَة.

بمرادِهِ منها مع اعتِقادِ أنها ليست على ظاهِرها، أي: مع نَفْيِ دلالَتِها على شَيْءٍ مِن الصِّفاتِ.

والرَّدُّ عليهِم مِن وُجوهٍ:

1- أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى نفى في كتابِه مُشابهَتَه لخلْقِه فقال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى: 11]، وقال:﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: 4]، وقال: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: 65].

ومَن شَبَّهَ صِفاتِ اللهِ بِصِفاتِ خَلْقِه لم يكُن عابِداً للهِ على الحقيقة، وإنما يَعْبُد وَثَناً صَوَّرَه له خَيالُه، فهو مِن عُبّادِ الأوثان، وهو مشُابِهٌ أيضاً للنَّصارى الذين يعبدونَ المسِيحَ بن مريم.

قال نُعَيم بن حمّاد شيخ البخاري رحمهما الله: مَن شَبَّهَ اللهَ بخلقِهِ فقد كَفر، ومَن نَفى ما وَصَفَ اللهُ به نفسَه أو وصفَه به رسوله صلّى الله عليه وسلّم فقد كَفَر، وليس فيما وَصَف اللهُ به نفسَه أو وصفه به رسولُه تَشْبِيهٌ [1]، وهذا رَدٌّ على المشَبِّهَة.

2- أنَّ هذِه الصِّفات جاءَت بإثباتها نُصوصُ الكِتابِ والسُّنَّةِ المتواتِرَة، ونحن مأمورون باتِّباع الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الأعراف: 3].

وقال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم:« فعليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ المهدِيين الرّاشِدِين، تمسَّكوا بها، وعَضّوا عليها بِالنَّواجِذ، وإيّاكُم ومحدَثاتِ الأُمورِ فإنَّ كُلَّ محدَثَةٍ بِدْعَة، وكلّ بِدْعَة ضَلالَة » [2].

والله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: 7].

فمن نفاها فقد نفى ما أثبته الله ورسوله وحاد الله ورسوله، وهذا رد على المعطلة.

3- أنَّ الذي ليس له صِفاتُ كَمالٍ لا يصلُح أن يكونَ إلهاً، ولهذا قال نَبِيُّ اللهِ إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: 43]، وقال تعالى في الردِّ على الذين عَبَدوا العِجْل: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ﴾ [الأعراف: 148]،

---

(1) مختصر العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي رحمه الله (ص ١٨٤).

(2) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب: في لزوم السُّنَّة، وانظر سنن الترمذي، كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتِناب البِدَع وقال:" حديث حسن صحيح "، ورواه أحمد في المسند (126/4)، وهو حديث صَحَّحَه كثِير مِن الأئِمَّة.

وهذا رَدٌّ على الجهمِيَة والمعتَزِلَة.

4- أنّ السَّلَف الصّالح مِن الصَّحابَةِ والتّابعين والقرون المفضَّلَة أثبَتوا هذه الصِّفات ولم يختَلِفوا فيها، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: تَنازَع النّاسُ في كَثيرٍ مِن الأحكامِ ولم يَتَنازَعوا في آياتِ الصِّفاتِ وأخبارِها في مَوْضِعٍ واحِدٍ؛ بل اتَّفَقَ الصَّحابَة والتّابعون على إقرارِها وإمرارِها مع فَهْمِ مَعانِيها وإثباتِ حَقائِقِها، وهذا يدلُّ على أنها أَعْظَم النَّوعَيْنِ بَياناً وأنَّ العِنايَة بِبَيانها أَهَمّ؛ لأنها مِن تمامِ تحقِيقِ الشَّهادَتَيْن، وإثباتها مِن لَوازِمِ التَّوحِيد، فبَيَّنَها الله سبحانه وتعالى ورسولُه بياناً شافِياً لا يَقَع فيه لَبْسٌ ولا إشكالٌ يُوقِع الرّاسِخِين في العِلْمِ في مُنازَعَةٍ ولا اشْتِباه [1] وقد قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم:« عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرّاشِدِين » وإثبات الصِّفات مِن ذلك، وهذا رَدٌّ على المعَطِّلَة.

5- أنَّه لو كان ظاهِر نُصوصِ الصِّفات غيرُ مُرادٍ وأنَّه يجِب تَأوِيلُها عن ذلك الظّاهِر إلى معنىً آخر أو تَفوِيضها لَزِمَ أن يكونَ اللهُ خاطَبَنا وخاطَبَنا رَسُولُه بما لا نَفْهَم مَعناه. وأنَّ هذِه النُّصوص ألغازٌ ورُمُوزٌ لا تُفْهَم، وهذا مما يُنَزَّه عنه كلامُ اللهِ وكَلامُ رسولِه اللَّذان هما في غايَة: البَيانِ والهدايَة والوُضوحِ، وهذا رَدٌّ على المعَطِّلَة في مَوْقِفِهم مِن النُّصوصِ.

6- أنَّه يلزَم مِن نفي الصِّفات نَفْي وُجودِ اللهِ تعالى؛ لأنَّه لا توجَد ذاتٌ مجرَّدَة عن الصِّفات؛ بل كلُّ موجودٍ لا بُدَّ له مِن صِفاتٍ، ولا يُتَصَوّضر وُجودُ ذاتٍ مجرَّدَةٍ عن الصِّفات، وإنما الذي ليس له صِفات هو المعدوم، فمَن نَفى عن اللهِ الصِّفات التي أثبتَها لِنَفْسِه كان مُعطِّلاً جاحِداً مُشَبِّهاً للهِ بِالمعدوماتِ، نافِياً لِوُجودِهِ بِاللُّزومِ، وهذا رَدٌّ على الجهمِيَّة والمعتَزِلَة.

7- لا يَلْزَم مِن اتِّفاقِ أسماءِ اللهِ وصِفاتِه مع أسماءِ المخلوقِينَ وصِفاتهم في الاسمِ والمعنَى اتِّفاقهُما وتَشابههما في الحَقِيقَة والكَيْفِيَّة، فَلِلهِ صِفاتٌ تخصُّهُ وتليقُ بِه، ولِلمَخلُوقِ صِفاتٌ تخصُّهُ وتَلِيقُ بِه، وهذا لا يَلْزَم حتى في المخلوقاتِ، فإذا قِيلَ إنَّ العَرْشَ شَيْءٌ مَوجُودٌ، وأنَّ البَعُوضَ شَيْءٌ مَوجودٌ؛ لم يَلْزَم مِن اشتِراكِهِما في الشَّيْءِ والوُجودِ تماثُلَها في الحقيقة والكَيْفِيَّة، وإذا كان هذا في المخلوقاتِ بَعْضِهما مع بَعضٍ، ففي حقِّ الخالِقِ مع خَلْقِهِ مِن باب أولى، وهذا رَدٌّ على جمِيعِ الفِرَقِ الضّالَّةِ.

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة (١/١٥)، والصواعق المرسلة (١/٢١٠).

8- كما أنَّ للهِ ذاتاً لا تُشْبِهُها ذَواتُ المخلوقِين فكذلك له صِفاتٌ لا تُشْبِهُها صِفاتُ المخلوقِين، فإنَّ القَوْلَ في الصِّفاتِ كالقَوْلِ في الذّاتِ مِن حيث الثُّبوت ونَفْيُ المماثَلَةِ وعَدَم العِلْمِ بِالكَيْفِيَّة، وهذا رَدٌّ على الجهمِيَّة والمعتَزِلَة.

9- القَوْلُ في بعض الصِّفات كالقَوْلِ في بَعْضِها الآخَر مِن حيث الثُّبوت ونَفْي المماثَلَةِ وعَدَم العِلْمِ بِالكَيْفِيّة، وهذا ردٌّ على الأشاعِرَة والماتريدية حيث فرَّقوا بين المتَماثِلات.

10- أنَّ إثباتَ الصِّفاتِ الوارِدَة كَمالٌ - ونَفْيُها نَقْصٌ - واللهُ مُنَزَّهٌ عن النَّقْصِ فلَزِمَ إثباتها، وهذا رَدٌّ على جميع المعَطِّلَة.

11- أنَّ هذه الأسماء والصِّفات بها يعرِف العِبادُ رَبَّهُم ويَدعُونَه بها، ويخافونَه ويرجونَه بموجِبِها، فإذا نُفِيَت عن اللهِ فاتَت هذه المعاني الجليلَة، وهذا رَدٌّ على جمِيعِ المعَطِّلَة.

12- أنَّ صَرْفَ كَلامِ اللهِ وكَلامِ رسولِه صلّى الله عليه وسلّم عن ظاهِرِه إلى معنًى يخالِفُه قَوْلٌ على اللهِ بلا عِلْمٍ، وهذا لا يجوز قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: 33].

وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: 3].وهذا رَدٌّ على طَرِيقَة التَّأوِيلِ.

الرَّدُّ على مَن زَعَم أنَّ أسماءَ اللهِ مُجَرّد أعلامٍ لا تَدُلُّ على مَعانِي:

مَن زَعَم أنَّ أسماءَ اللهِ مجرَّدُ أعلامٍ لا مَعاني لها فقولُه باطِلٌ، ويترتَّب عليه أمورٌ باطِلة، منها:

1- أن لا تكون حسنى؛ لأنها ألفاظ مجرَّدة مِن المعاني.

2- أنها لا تدلُّ على مَدْحٍ وكَمالٍ.

3- أنه يَصِحُّ وُقوع أسماء الانتِقامِ والغَضَبِ في مَقامِ الرَّحمَةِ والإحسانِ وبالعَكْس، فيقال: اللّهمَّ إنِّي ظَلَمْت نَفْسِي فاغْفِر لي إنَّك أنت العزيز الجبّار شَديد العِقاب، واللّهم أعطِني فإنَّك أنت الضّارُّ المانِع.

4- أنَّه لا يجوز أن يخبَر عنها بمصادِرِها ويُوصَف بها، لكنَّ اللهَ أخبرَ عن نفْسِه بمصادِرِها وأثْبَتَها لِنَفْسِه وأثْبَتَها له رَسولُه صلّى الله عليه وسلّم كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[الذاريات: 58].

فَعُلِم أنَّ القَوِيَّ مِن أسمائِه، ومعناه: الموصوف بِالقُوَّةِ، وكذلك قوله:﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر: 10].

فالعزيز مَن له العِزَّة، فلولا ثُبوت القُوَّةِ والعِزَّةِ لم يُسَمّ قويّاً ولا عَزيزاً.

5- أنَّه لا يَصِح أن يخبَر عنها بأفعالها فلا يُقال: يَسْمَع ويَرى ويَعْلَم ويَقْدِر ويُرِيد، فإنَّ ثبوتَ أحكامِ الصِّفات فَرْعٌ مِن ثُبوتها، فإذا انتَفى أَصْلُ الصِّفَة انتفى ثبوتُ حُكْمِها، وقد أخبَر اللهُ سبحانه وتعالى عنها بأفعالها فقال سبحانه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: 1].(1).

الأسئِلَة:

س1: هناك طوائِف انحرَفَت عن نهج السّلف في أسماء الله وصِفاتِه، اذكر هذه الطوائف.

س2: ما المقصود بالتّأويل والتَّفويضِ ؟

س3: أذكُر خمسَةً مِن الرُّدودِ على الطَّوائِف المنحَرِفَة عن مَنْهَج السَّلَف في أسماءِ اللهِ وصِفاتِه.

س4: مِن خلال ما دَرَسْته: أُذكر أربَعَةَ رُدودٍ على الأشاعِرَة.

س5: ما الأمور الباطِلَة التي تَدُلُّ على بُطلانِ قَوْلِ مَن زَعَم أنَّ أسماءَ اللهِ مجرَّد أعلامٍ لا مَعاني لها ؟

(1) انظر: مدارج السالكين (١/٢٨-٢٩) بِتَصَرُّف.

الرُّكْنُ الثّاني: الإيمانُ بِالمَلائِكَةِ

تَعرِيفُهُم:

لُغَةً: الملائِكَةُ جمع مَلَك، بِفَتْح اللّام، قيل: إنَّه مُشْتَقٌّ مِن الأَلُوكَة وهي الرِّسالَة، وقيل: مِن لأَكَ: إذا أرسل، وقيل غير ذلك.

واصطِلاحاً: عالَمٌ غَيْبِيٌّ مخلوقُون مِن نُورٍ عابِدُونَ للهِ تعالى.

وليس لِلمَلائِكَة مِن خَصائِصِ الرُّبوبِيَّة والأُلوهِيَّة شَيْءٌ، وقد مَنَحَهُم اللهُ الانقِيادَ التّامَّ لأمرِهِ والقُوَّةَ على تَنْفِيذِه. قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: 19 -20].

وقال عنهم: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾[الأنبياء: 26 - 27].

اعتِقادُ مُشْرِكِي العَرَبِ فِيهِم قَبْلَ الإسلامِ:

وقد كان أهل الجاهليَّة يزعُمون أنهم بَناتُ الله – تعالى عما يقولون – وقد رَدَّ اللهُ تعالى عليهم هذا، وبيَّن عدمَ عِلْمِهِم بذلك بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: 19].

وبقوله: ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾ [الصافات: 150 - 153].

الإيمانُ بهِم:

الإيمانُ بالملائِكَة هو الركُن الثّاني مِن أركان الإيمان، ومعنى ذلك: التَّصديقُ الجازِم بأنَّ لله تعالى مَلائِكَةً مَوجودِين مخلوقِينَ مِن نُورٍ، لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُم ويَفْعَلون ما يُؤْمَرون.

أدِلَّة وُجوبِ الإيمانِ بِهِم:

أ- قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285]، فجعَل تبارك وتعالى

هذا الإيمانَ مِن عَقِيدَة المؤمِن.

ب- قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: 177].

وأوجب سبحانه وتعالى الإيمانَ بهذه الأمور وكَفَّر مَن جَحَدَها بقوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136].

ج- قول الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم جَواباً لجبريلَ حينَما سأله عن الإيمانِ: « أن تُؤمِنَ باللهِ ومَلائِكَتِه وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمِنَ بالقدر خيرِه وشرِّه » [1].

فجعل صلّى الله عليه وسلّم الإيمان: هو الإيمان بجملة ما ذُكِر، والإيمان بالملائكة بعض ذلك. فوُجُودُهم ثابِتٌ بِالدَّلِيلِ القَطْعِيِّ، وإنكارُهُم كُفْرٌ بإجماعِ المسلِمِين؛ لأنَّ عَدَمَ الإيمانِ بهم تَكْذِيبٌ لِصَرِيحِ القُرآنِ والسُّنَّةِ.

ما يتَضَمَّنه الإيمانُ بِالمَلائِكَة مِن أُمُورٍ:

الإيمان بالملائكة يَتَضَمَّن أربعَةَ أُمورٍ:

1- الإيمان بِوُجُودِهِم.

2- الإيمان بِمَن عَلِمْنا اسمَه مِنهم باسمِهِ كجِبريل، ومَن لم نَعْلَم اسمَه نُؤْمِن بهم إجمالاً.

3- الإيمان بما عَلِمْنا مِن صِفاتهم، كصِفَة جبريل فقد أخبر النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه رآه على صِفَتِه التي خُلِقَ عليها وله سِتُّ مِئَة جَناحٍ قد سَدَّ الأُفُق [2]، وقد يتَحَوَّل المَلَك إلى هَيْئَةِ رَجُلٍ كما حَصَل لجبريلَ في حديث السُّؤالِ عن الإيمان والإسلام السّابِق.

4- الإيمان بما عَلِمْنا مِن أعمالهم التي يقومون بها مِن أَمْرِ اللهِ كتَسْبِيحِهِ والتَّعبُّد له لَيْلاً ونهاراً، فإنَّ الملائِكَة مجبولون على طاعَةِ اللهِ ليس لدَيْهم القُدْرَة على العِصْيان ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6]، فتركُهُم لِلمَعْصِيَة وفِعْلُهم لِلطّاعَةِ جِبِلَّة لا يُكَلِّفُهم أَدْنى

(1) رواه البخاري في صحيحه (19/1)، ومسلم (37/1).صحيح الإمام مسلم (37/1)، وقد تقدَّم تخريجُه.

(2) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: ذكر سدرة المنتهى، رقم (174)، وباب: معنى قول الله عزَّ وجلَّ:" ولقد رآه نزلة أخرى ". حديث رقم (287).

مجاهَدَةٍ؛ لأنهم لا شَهْوَةَ لهم [1].

وقد يكون لِبَعضِ الملائِكَة أعمالٌ خاصَّة مثل: جبريل الأمين على وَحْيِ اللهِ تعالى يُرْسِله اللهُ به إلى الأنبِياء والرُّسُل، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [التحريم: 193 - 194].

ومِنهم: مِيكائِيل الموكَّل بالقَطْرِ، أي: بالمطَرِ والنَّباتِ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال:« بينَما رَجُلٌ بِفَلاةٍ مِن الأرضِ فسَمِعَ صَوْتاً في سَحابَةٍ: أَسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ فَتَنَحّى ذلك السَّحاب فأفرغ ماءَه في حَرَّةٍ فإذا شَرْجَةٌ [2] مِن تلك الشِّراجِ قد اسْتَوْعَبَت ذلك الماءَ كلَّه، فتَتَبَّع الماءَ فإذا رَجُلٌ قائِمٌ في حَدِيقَتِه يحوِّلُ الماءَ بمِسْحاتِه. فقال له: يا عبدالله ! ما اسمك ؟ قال: فلان. للاسمِ الذي سمع في السَّحابَة فقال له: يا عبدالله ! لم تَسألني عن اسمي ؟ فقال: أني سمعت صَوْتاً في السَّحابِ الذي هذا ماؤُه يقول: اسْقِ حَدِيقَة فُلان. لاسمك، فما تَصْنَع فيها ؟ قال: أمّا إذ قلت هذا، فإني أنظُر إلى ما يخرُج منها، فأتَصدَّق بِثُلُثِه، وآكُلُ أنا وعِيالي ثُلثاً، وأَرُدّ ثُلُثَهُ » [3].

وهذا يعني تَصرِيف المطَر مِن قبل الملائِكة على مُرادِ اللهِ تعالى.

ومنهم: الموكَّل بالصُّور، وهو إسرافيل عليه الصَّلاة والسَّلام، وهو الذي يَنْفُخ فيه بِأَمْر اللهِ تعالى نَفْخَتَيْن، نَفْخَة يَفْزَع النّاسُ عند سماعِها ثم يُصْعَقون، والنَّفخة الثّانية نَفْخَة البَعْثِ كما قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: 68].

ومنهم: الموكَّل بِقَبْضِ الأرواحِ، وهو مَلَك الموتِ وأعوانُه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: 11].

ومنهم: خَزَنَة الجنَّة قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: 73].

(1) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ١٩).

(2) الشَّرْجَة: مَسِيلُ الماءِ في الحرَّة.

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب: الصدقة في المساكين، رقم (2984).

ومنهم: خَزَنَة جَهَنَّم – وهم الزَّبانيَة – وعَدَدُهم تِسعَة عَشَر، ومُقَدّمُهُم مالِك عليه السَّلام، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾ [المدثر: 27 – 31].

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: 77].

ومِنهم: الموكَّلون بحفظِ العَبْدِ في جَميعِ أحوالِه وهُم المعَقّبات كما قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: 11].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: 61].

ومنهم: الموكَّلون بحفْظِ عَمَلِ العَبْدِ مِن خَيْرٍ أو شَرٍّ، وهم الكِرامُ الكاتِبون قال تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الزخرف: 80].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾ [الإنفطار: 10 – 12].

ومنهم: الملائِكَة الموكَّلون بِالأجِنَّة في الأرحامِ إذا تمَّ للإنسانِ أربَعَة أَشْهُرٍ في بَطْنِ أُمِّهِ بَعَث اللهُ إليه مَلَكاً وأَمَرَه بِكَتْبِ رِزْقِه وأجَلِه وعَمَلِه وشَقِيّ أو سَعِيد. كما ثبت في حديث ابن مسعود في صحيح مسلم (1).

ومنهم: الموكَّلون بِسُؤالِ الميِّت إذا وُضِعَ في قَبْرِه عن رَبِّه، ودِينِه، ونَبِيِّه، كما ثَبَت في السُّنَّةِ.

عَلاقَتُهُم بِالبَشَرِ:

وكَّل اللهُ سبحانه وتعالى الملائِكَة بِأصنافِ المخلوقاتِ، ومنها الإنسان، فلهم عَلاقَة وَثِيقَة بِهِ مِن حين كَونه نُطْفَة، ذكر هذِه العَلاقَة الإمام ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان فقال:« فإنهم مُوَكَّلون بِتَخْليقِه – أي الإنسان – ونَقْلِه مِن طَوْرٍ إلى طَوْرٍ، وتَصوِيرِهِ وحِفْظِه في أطباقِ الظُّلماتِ الثَّلاث، وكِتابَة رِزْقِه وعَمَلِه، وأَجَلِه وشَقاوَتِه وسَعادَتِه، ومُلازَمَتِه في جميعِ أحوالِه، وإحصاءِ أقوالِه وأفعالِه، وحِفْظِه في حياتِه، وقَبْضِ رُوحِه عند وَفاتِه، وعَرْضِها على خالِقِه

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم (3208)، ومسلم في صحيحه،: كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطْنِ أُمِّهِ وكِتابَة رِزْقِه وأجَلِهِ وعَمَلِه وشَقاوَتِه وسَعادَتِه، رقم (2643).

وفاطِرِه، وهم الموَكَّلون بِعَذابِه ونَعِيمِه في البَرْزَخِ وبَعْدَ البَعْثِ، وهم الموَكَّلون بِعَمَلِ آلاتِ النَّعِيمِ والعَذابِ.

ولِلمَلائِكَة عَلاقَةٌ بِالمؤمنين فهم المثبِتون لِلْعَبْدِ المؤمِن بإذن اللهِ، والمعلِّمون له ما يَنْفَعُه والمقاتِلون الذّابُّون عنه، وهم أولياؤُه في الدُّنيا والآخِرَة، وهم الذين يَعِدونَه بِالخير، ويَدْعُونَه إليه، ويَنْهَوْنَه عن الشَّرِّ ويحذِّرونه منه، فهم أولياؤُه وأنصارُه، وحَفَظَتُه ومُعَلِّمُوه، وناصِحُوه، والدّاعونَ له، والمستَغْفِرون له، وهم الذين يَصِلُون عليه ما دامَ في طاعَةِ رَبِّه، ويُصَلُّون عليه ما دامَ يُعَلِّم النّاسَ الخيرَ، ويُبَشِّرونَه بِكَرامَة اللهِ تعالى في مَنامِه، وعند مَوْتِه، ويوم بَعْثِه، وهم الذين يُزَهِّدونَه في الدُّنيا، ويُرَغِّبونَه في الآخِرَة، وهم الذين يَذَكِّرونَه إذا نَسِي، ويُنَشِّطونَه إذا كَسَل، ويُثَبِّتونَه إذا جَزَع، وهم الذين يَسْعَونَ في مَصالح دُنْياه وآخِرَتِه.

في حين أنهم لا يحبُّون الكَفَرَة الظّالمين المجرِمين؛ بل يُعادُّونهم ويحارِبُونهم ويُزَلْزِلونَ قُلوبَهم ويُنزِلون بهم العَذابَ بِأَمْرِ اللهِ ويَلْعَنونهم فَهُم رُسُلِ اللهِ في خَلْقِه وأَمْرِه، وسُفَراؤُه بينَه وبين عِبادِهِ، تَتَنَزَّل بِالأَمْرِ مِن عِنْدِه في أقطارِ العالم، وتَصْعَد إليه بِالأمر »[1]. وأدِلَّة كلّ ما ذُكِرَ مِن القُرآنِ والسُّنَّةِ يَطُول المقامُ بِذِكْرِها، وهي مَعروفَة مُشْتَهِرَة، وقد سَبَق ذِكْرُ بَعْضِها.

ثَمراتُ الإيمانِ بِالمَلائِكَة:

الإيمان بِالملائِكَة يُثْمِر ثمراتٍ جَليلَةٍ، منها:

1- العِلْمُ بِعَظَمَةِ اللهِ تعالى وقُوَّتِهِ وسُلْطانِه، فإنَّ عَظَمَةَ المخلوقِ مِن عَظَمَةِ الخالِق.

2- شُكْرُ اللهِ تعالى على عِنايَتِهِ بِبَنِي آدَم، حيث وَكَّل مِن هؤلاءِ الملائِكَة مَن يقوم بحفظِهم وكِتابَةِ أعمالِهم.

3- محبَّة الملائِكَة على ما قاموا بِه مِن عِبادَةِ الله تعالى[2].

الأسئِلَة:

س1: ما المرادُ بالملائِكةِ ؟، وما اعتِقادُ أهل الجاهليَّة فيهِم ؟

---

(1) إغاثة اللهفان لابن القيم (125/2، و126).

(2) نبذة في العقيدة الإسلامية (ص20).

س2: ما حكم الإِيمان بالملائكة مع الاستِدلال على ذلك ؟

س3: يتضَمَّن الإِيمان بالملائكة أموراً، اذكرها.

س4: اذكر بعض أعمالِ الملائِكَة الخاصّة، مع ذكر الدَّليل لكلّ عَمَلٍ.

س5: ما عَلاقَةُ الملائِكَة:

أ- بالإِنسان. ب- بالمؤمنين. ج- بالكافرين.

س6: للإِيمان بالملائكة ثمراتٌ جِلِيلَة، اُذْكُر بَعْضاً منها.

الرُّكْنُ الثّالِث: الإيمانُ بِالكُتُبِ

الكُتُب: جمع كِتابٍ، بمعنى مَكْتُوب.

والمراد بها هنا: الكُتُب التي أنزلها اللهُ تعالى على رُسُلِه رَحْمَةً لِلْخَلْقِ وهِدايَةً لهم لِيَصِلوا بها إلى سَعادَتهم في الدُّنْيا والآخِرَة.

والإيمان بِكُتُبِ اللهِ تعالى رُكْنٌ مِن أركانِ الإيمان.

ومعناه: التَّصدِيق الجازِم بأنَّ لله تعالى كُتُباً أنزلها على رُسُلِه إلى عِبادِهِ بِالحقِّ المبين، وأنها كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ تَكَلَّم بها حَقِيقَةً كما شاء على الوَجْهِ الذي أراد.

الأدلَّة على وُجوبِ الإيمانِ بِالكُتُبِ:

أ- قول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: 136].

فإنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ المؤمِنِينَ أن يُؤْمِنوا بِه وبِما أَنْزَل عَلِيهِم بواسِطَة نَبِيِّهم محمَّد ﷺ وهو القُرآن الكَريم ويُؤمِنوا بما أُنزِلَ على النَّبِيِّين مِن ربهم مِن غَيْرِ تَفْرِيقٍ بين أَحَدٍ مِنهم انقِياداً للهِ تعالى وتَصْدِيقاً لخبَرِهِ.

ب- قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285].

اشتَمَلت الآيَة الكريمة على بَيانِ صِفَة إيمانِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسَلَّم والمؤمِنين، وبيانِ ما أُمِروا بِه مِن الإيمانِ بِاللهِ تعالى وبالملائِكَة وبِالكتُبِ وبِالرُّسُلِ مِن غَيْرِ تَفْرِيقٍ؛ فالكُفْرُ بِالبَعْضِ كُفْرٌ بهم جمِيعاً.

ج- قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136]، فأمَر اللهُ سبحانه وتعالى بالإيمانِ به وبِرَسوله وبِالكِتابِ المنزَّلِ على

الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم وهو القرآن، وبِالكُتُبِ المنَزَّلَةِ مِن قَبْلِ القُرآنِ. وقَرَنَ سبحانَه وتعالى الكُفْرَ بِالملائِكَة وبِالكُتُبِ وبِالرُّسُلِ وبِاليَوْمِ الآخِرِ بِالكُفْرِ بِه تعالى.

د- قَوْلُ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث جبريل حين سَأَله عن الإيمان:« أن تُؤْمِنَ باللهِ ومَلائِكَتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليوم الآخِر، وتؤمِن بِالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّه » (1).

فجَعَل الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم الإيمانَ بِكُتُبِ اللهِ تعالى أَحَدَ أركانِ الإيمان.

ما يَتَضَمَّنه الإيمانُ بِالكُتُبِ:

الإيمان بِالكُتُبِ يَتَضَمَّن أربعَةَ أُمورٍ:

1- الإيمان بأنَّ نزولها مِن عند الله.

2- الإيمان بما عَلِمْنا اسمَه منها باسمِه كالقرآن، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

والتَّوراة التي أُنْزِلَت على موسى عليه السَّلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44].

والإنجيل الذي أُنْزِل على عِيسَى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 46].

والزَّبور الذي أُوتِيَه داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[النساء: 163].

وصُحُف إبراهِيم وموسى عليهما السَّلام، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم: 36 - 37]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: 18 - 19].

3- تَصْدِيق ما صَحَّ مِن أخبارِها كأخبارِ القرآن وأخبارِ ما لم يُبَدَّل أو يحرَّف مِن الكتب السّابِقَة.

4- العَمَل بِأحكامِ ما لم يُنْسَخ مِنها، والرِّضَى والتَّسلِيم بِه، سواء فَهِمنا حِكْمَتَه أم لم

(1) تقدم تخريجه.

نَفْهَمْها، وجميع الكُتُبِ السّابِقَة مَنسوخَة بِالقُرآنِ العَظِيم قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة: 48]، أي: حاكِماً عليه، وعلى هذا فلا يجوزُ العَمَل بِأَيِّ حُكْمٍ مِن أحكامِ الكُتُبِ السّابِقَة إلّا ما أَقَرَّه القُرآن، ولا يجوز التَّحاكُم إلى أيٍّ منها بِأَيِّ حالٍ مِن الأحوالِ لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: 59].

الكُتُب المَوجودَة لَدى أهلِ الكِتابِ:

لقد أنزَلَ اللهُ على رُسُلِه كُتُباً حُجَّةً على العالَمِينَ، ومحجَّةِ لِلعامِلين يُعَلِّمُونهم بها الحكمَة ويُزكونهم قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ [الحديد: 35]، ومِن هذه الكُتُبِ التَّوراة والإنجيلِ وآخِرها القُرآن الكريم الذي أنزلَه اللهُ على نَبِيِّه محمَّد خاتم النَّبيِّين فَنسَخ بِه جميعَ الكُتُبِ السّابِقَةِ وتَكَفَّلَ بحفظِهِ مِن عَبَثِ العابِثِين: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]؛ لأنَّه سَيَبْقى حُجَّةً على الخلق أجمعين إلى يوم الدِّين، أمّا الكُتُب السّابِقَة فإنها مُؤَقَّتَةٌ بِأَمَدٍ ينتَهي بِنُزولِ ما يَنْسَخُها، ولهذا لم تكُن مَعْصُومَةً مِن التَّحريفِ والزِّيادَةِ والنَّقْصِ؛ بل وقَع ذلك فيها قال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 79].

وقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: 46].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 75].

ولِوُجود ذلك فلا تَصِحُّ معه نِسْبَة هذه الكُتُبِ إلى اللهِ تعالى، وهناك ما يُؤَيِّد عَدَم صِحَّة هذه النِّسبَة إلى الله تعالى مع ما صَرَّحَ بِه القرآن الكريم.

مِن ذلك ما يلي:

أ- أنَّ ما في أيدِي أهلِ الكِتابِ مِن كتُبٍ يزعمُون أنها مُقَدَّسَة ليست نُسَخاً أصْلِيَّةً، وإنما هي تَراجمها.

ب- أنَّ هذه الكُتُب قد اختَلَطَ فيها كلامُ اللهِ تعالى بِكلامِ غيرِهِ مِن المفَسِّرين والمؤَرِّخِين، ومُسْتَنْبِطِي الأحكامِ ونحوِ ذلك.

ج- عَدَم صِحَّة النِّسْبَة فيها إلى الرَّسولِ الذي نُسِبَت إليه، فليس لها سَنَدٌ مَوثُوقٌ، فالتَّوراة دُوِّنَت بعد موسى ﷺ بِقُرونٍ عَدِيدَةٍ، وأمّا الأناجيل فهي مَنسوبَةٌ إلى مُؤَلِّفِيها، وقد اختِيرَت مِن أناجِيل مُتَعَدِّدَة.

د- تَعَدُّد نُسَخِها وتَناقُضِها فيما بينها ممذا يدلُّ دلالَةً قاطِعَةً على تحرِيفِها.

هـ- اشتِمالها على عَقائِد فاسِدَة في تَصَوُّرِ الخالِق ووَصْفِه بما يتَضَمَّن النَّقْصَ، وكذلك وَصْفُ الرُّسُل الكِرام بما يَتَنَزَّهون عنه، ولهذا فالواجِب على المسلِم اعتِقاده أنَّ كُتُبَ العَهْدَيْنِ: العَهْدُ القَدِيم والعَهْدُ الجدِيد [1] ليس كلُّ ما فِيها قد أنزَلَهُ اللهُ على رُسُلِه؛ بل هي ممّا كَتَبوه فلا نُصَدِّق مِنها إلّا ما صَدَّقَه القرآن الكريم أو السُّنَّة المطهَّرة، ونُكَذِّب ما كَذَّبه القرآنُ والسُّنَّة ممّا اشتَمَلت عليه مِن الباطِل، ونَسْكُت عمّا لم يأتِ تَصْدِيقُه أو تَكذِيبُه لاحتِمالِه الصِّدْقَ والكَذِبَ. والله أعلم.

الأسئِلَة:

س1: ما معنى الكتُب لُغَةً، واصطِلاحاً ؟

س2: ما حكم الإيمان بِالكُتُب التي أنزلها الله على رسلِه ؟ مع ذِكْرِ الدَّلِيل.

س3: ما الأمور التي يَتضَمَّنها الإيمان بِالكُتُبِ ؟

س4: اذكر بعض الأدِلَّة على وُقوعِ التَّحرِيفِ في التَّوراة والإنجيل.

س5: الكتب الموجودة الآن لَدى أهلِ الكتابِ لا تَصِحُّ نِسْبَتُها إلى الله. ما الأدِلَّة التي تُؤَيِّد عَدَم صِحَّة نِسْبَتِها إلى الله مع ما صَرَّح بِه القرآن الكريم ؟

(1) هي التَّوراة والإنجيل، ويَسَمِّيها النَّصارى بِالعَهْدِ القَدِيم والعَهْدِ الجدِيدِ.

القُرآنُ الكَرِيمُ

تَعْرِيفُه:

القرآن في اللُّغَةِ: مصدَرٌ كالقِراءَة، تقول: قرأت الكِتابَ قراءةً وقرآناً، ومِن ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: 17]، أي: قِراءَته، ثم نُقِلَ هذا المصدَر، وجُعِل اسمًا لِلكتابِ المنَزَّلِ على محمَّد ﷺ فأصبَح عَلَماً عليه دون غيرِه، وسُمِّيَ قرآناً لِكَوْنِه جامِعاً لِثَمَرَةِ كُتُبِ اللهِ كلِّها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89].

وفي الاصْطِلاحِ: هو كَلامُ اللهِ تعالى المعجِز المنزَّلِ على رسولِه محمَّد صلّى الله عليه وسلّم وَحْياً، المتَعَبَّد بِتِلاوَتِه.

وهذا القرآن هو المحفوظ في الصُّدور، المقروءُ بِالألسُن، المكتوب في المصاحِف، المسموع بالآذانِ، المنقول إلينا نَقْلاً مُتَواتِراً بِلا شُبْهَةٍ.

القُرآن كَلامُ اللهِ تعالى:

القرآنُ كلامُ اللهِ تعالى بِلَفْظِه ومَعْناه، مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، سمِعَه منه جبريل عليه السَّلام وبَلَّغَه إلى محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، ومحمَّد صلّى الله عليه وسلّم بَلَّغَه لأصحابِه، وهو الذي نَتْلُوه بألسِنَتِنا، ونَكْتُبه في مَصاحِفِنا، ونحفَظُه في صُدورِنا، ونَسْمَعُه بِآذانِنا لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: 6].

ولِما روى البُخاريُّ ومسلِمٌ وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نَهى أن يُسافَر بِالقرآنِ إلى أَرْضِ العَدُوِّ (1).ولقوله صلى الله عليه وسلم:

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (68/4)، كتاب الجهاد والسِّير، باب: السَّفر بالمصاحف إلى أرض العَدُوِّ، مسلم في صحيحه (1490/3) في كتاب الإمارة، باب: النَّهي أن يُسافَر بالمصحف إلى أرض الكفار.

« زَيِّنوا القُرآنَ بِأصْواتِكم » [1].

ففي الآية الكريمة سمَّى اللهُ تبارك وتعالى المسموعَ وهو المتْلُوّ على المشركين مِن الرَّسول صلّى الله عليه وسلَّم كَلامَ اللهِ.

وفي الحديث الأوَّل سمَّى المكتوبَ قُرآناً. كما قال عنه تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ ﴾ [الواقعة: 77 - 78]، وفي الحديث الثاني سمَّى الرَّسولُ صلّى الله عليه وسلّم المتلوّ قُرآناً.

وأمّا الأدِلَّة على كَوْنِه مُنَزَّلاً غير مخلوقٍ فكثيرة جدّاً، منها:

قولـــه تعـــالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾ [الشعراء: 193 - 195].

قوله تعالى: ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ ﴾ [غافر: 1 - 2].

وفي الآيات النَّصُّ الصَّرِيحُ على أنَّ القرآنَ مُنَزَّلٌ مِن عندِ اللهِ تعالى.

ولا يَصِحُّ القَوْلُ بِأنَّ القرآنَ الكريمَ أو غيرَه مِن كُتُبِ اللهِ تعالى التي نَزَّلها على رُسُلِه مخلوقة؛ لأنَّها كَلامُه، وكَلامُه مِن صِفاتِه، وصِفاتُه غيرُ مخلوقة.

والإيمانُ بكلِّ ما ذكرنا عن القرآن الكريم واجِب، كما يجب الإيمان بأنَّه آخِر كتابٍ نَزَلَ مِن عندِ الله تعالى جاء مُصَدِّقاً ومُؤَيِّداً لِما جاء في كُتُبِ اللهِ تعالى السّابِقَة مِن الحقِّ ومُبَيِّناً ما أُدْخِلَ عليها مِن التَّحريفِ كما أنَّه جاء بِشَريعَة عامَّة صالحة لِكُلِّ زمانٍ ومكانٍ ناسِخَة لِما سَبَقَها مِن الشَّرائِع. واجِبَة على مَن بَلَّغْتَه إلى قِيامِ السَّاعَةِ لا يَقْبَل اللهُ تعالى مِن أَحَدٍ دَيْناً سِواها بعد نزولها كما أخبَر بِذلك.

حِفْظُ اللهِ تعالى لِلْقُرآنِ:

القرآنُ الكريمُ المنزَّلُ على خاتمِ الأنبياءِ هو آخِرُ كُتُبِ اللهِ تعالى نُزولاً إلى البَشَرِ، وهو ناسِخٌ

(1) حديثٌ صَحِيحٌ، أخرجه الإمام أحمد (283/4، 285، 296، 304)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب: استحباب التَّرتيل في القراءة رقم (1468)، والنَّسائيّ، كتاب الافتتاح، باب: تزيين القرآن بِالصَّوت، رقم (1015)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب: في حسن الصوت في القرآن، رقم (1342). وانظر صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب: قول النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: الماهِر بِالقرآن مع السَّفَرَة الكِرامِ البَرَرَةِ. ذكَرَه تَعْليقاً.

لِما سَبَقه مِن الشَّرائع قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« والذي نَفْسُ محمَّد بِيَدِهِ لا يسْمَع بي أحَدٌ مِن هذه الأُمَّة يَهُودِيٌّ ولا نَصْرانِيٌّ، ثم يموت ولم يُؤْمِن بِالذي أُرْسِلت بِه إلّا كان مِن أصحابِ النّار » [1]. وهذا الحديث صَرِيحٌ في بَيانِ أنَّ ما جاء به محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم مِن الدِّين ناسِخٌ لِما سَبَقه ولهذا جاء مُشْتَمِلاً على كلِّ ما يَلْزَمُهُم في الحياة الدُّنيا إلى قِيامِ السّاعَةِ، ويأخذ بِأيدِيهِم إلى السَّعادَةِ في الآخِرَة إن هم تَبِعوا تَعالِيمَه وساروا على نهجِه، وقد تكفَّل اللهُ تعالى بحفظِه لِتَقوم الحجَّة بِه على النّاس قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: 41 - 42].

التَّحدِّي بِالقرآنِ:

إنَّ أعظَم مُعْجِزات نَبِيِّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم هو القرآن العظيم؛ لأنَّ كلَّ نَبِيٍّ تكون مُعْجِزَتُه مُناسِبَة لحالِ قَوْمِه، ولذلك لَمّا كان السِّحْرُ فاشِياً في قوم فِرعون جاء موسى عليه السلام بالعَصا على صُورَة ما يصْنَع السَّحرة، لكنَّها تَلَقَّفَت ما صَنَعوا، فأيْقَنوا أنَّ ما جاء به موسى عليه السلام هو الحقُّ وليس مِن السِّحر، كما قال تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [الشعراء: 46 - 47].

ولم يقَع ذلك لغيرِ مُوسى عليه السلام، ولَمّا كان الزَّمَنُ الذي يعيشُ فيه عيسى عليه السلام قد فَشا فيه الطِّبُّ جاء المسِيح عيسى بن مريم عليه السلام بما حَيَّر الأطِبّاءَ مِن إحياءَ الموتى وإبراءِ الأَكْمَه والأَبْرَص مِن الدّاء العُضالِ القَبِيحِ، وخَلَقَ مِن الطِّينِ كَهَيْئَة الطَّيْرِ بإذنِ اللهِ فطاشَت عُقولُ الأطبّاء وأيقَنوا أنَّ ذلك مِن عند اللهِ عزَّ وجلَّ، ولَمّا كانت العَرَب أربابَ الفَصاحَة والبَلاغَة

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالَة نبينا محمَّد صلّى الله عليه وسلّم إلى جميع النّاس، رقم (153).

وفُرسان الكَلامِ والخطابَة جَعَلَ اللهُ سبحانَه مُعْجَزَةَ نَبِيِّنا محمَّد صلّى الله عليه وسلّم هي القُرآن الكريم الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 42].

مَراحِل التَّحَدِّي بِالقُرآن:

قد غالَط مُشرِكو قُرَيْشٍ أنفُسَهُم بِادِّعائِهم أنَّ القرآنَ ليس مِن عند اللهِ تعالى، فتَحَدّاهُم اللهُ تبارك وتعالى بأن يأتوا بمثِلِه، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك، وهذا التَّحَدِّي شامِلٌ لهم ولِغيرِهِم ممَّن زَعَم هذا الزَّعم مِن إنسٍ أو جنٍّ إلى قِيامِ السّاعَةِ فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88].

ثم إنَّ اللهَ تعالى تحدّاهم بالإتيانِ بِأَقلّ مِن ذلك، فطلَب منهم الإتيان بِعَشْرِ سُوَرٍ مثله مُفتَرَياتٍ إن كان مُفْتَرى كما يَزْعُمون بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: 13].

ثم تحدّاهم بِأَقَلّ مِن ذلك فطَلَب منهم الإتيانَ بِسُورة واحِدَة فقط إن كان هذا القرآن مُفْترى كما يزعمون بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: 38].

وكرَّر سبحانَه تحدِّي مَن كان في رَيْبٍ مِن هذا القرآن وبالإتيان بِسُورَةٍ واحِدَة وأكدَّ عَدَم استِطاعَتِهِم على ذلك بقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: 23].

أوجه الإعجاز في القرآن:

مِن أوجُه الإعجازِ في القرآن:

1- أنَّه مُعْجِزٌ مِن جِهَة لَفْظِه ونَظْمِه فهو في غاية: الفَصاحَةِ والبَلاغَةِ ممّا أعجزَ العَرَبَ أن يأتوا بمثلِه، فكيف بمن هم دونهم ؟

2- أنَّه مُعْجِزٌ مِن جِهَة ما تَضَمَّنَه مِن أحكامٍ وتَشْريعاتٍ تطبِيقها يحقِّقُ السَّعادَةَ في الدّارَيْن.

3- أنَّ القرآنَ الكريم مُعْجِزٌ بما تَضَمَّنَه مِن أخبارٍ عن الأُمورِ الغَيْبِيَّةِ الماضِيَة والمستقبلة.

4- مِن جِهَة ما اشتَمَل عليه مِن لَفْتِ نَظَرِ الإنسانِ إلى الكَوْنِ وما فِيه، وإلى الإنسان وتَكْوِينه ممّا يدلُّ دلالَةً صريحَةً على أنَّه مِن لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ لا تخفى عليه خافِية، وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ بِيَدِه الخير، وهو الخلّاق العَلِيم.

الأسئِلَة:

س1: ما معنى القرآن لغةً واصطِلاحاً ؟، وما المراد بالإيمان به ؟

س2: ما معنى كَوْنِ القرآنِ كلامُ الله تعالى ؟ مع ذكر الأدلَّة.

س3: لماذا تكفَّلَ اللهُ بحفظِ القرآن الكريم دون بقية كتُبِهِ ؟ وما المراد بحفْظِه ؟

س4: لماذا وقع التَّحدِّي بالقرآن الكريم ؟ وما دَرَجات التَّحَدِّي بِالقرآن مع الاستِدلال على ذلك ؟

س5: أُذْكُر بعض أَوْجُه الإِعجازِ في القرآن.

الرُّكن الرّابع: الإيمانُ بِالرُّسُلِ

تعريفُ النَّبِيِّ والرَّسولِ:

تعرِيف النَّبِيِّ لغةً: مُشْتَقٌّ مِن النَّبأ، وهو الخبَر.

وسُمِّيَ النَّبِيُّ نَبِيّاً؛ لأنَّه مُخْبِرٌ عن اللهِ، أي: مُبَلِّغٌ عنه أمرَهُ ووَحْيَه، ومُخْبَرٌ، أي: أنَّ اللهَ أخبرَه.

والإرسالُ في اللُّغةِ هو التَّوجِيه.

وعلى هذا فالرُّسُل إنَّما سُموا بذلك؛ لأنَّهم وُجِّهوا مِن قِبَلِ اللهِ تعالى، قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: 44].

الفَرْقَ بين النَّبِيّ و الرَّسولِ:

الرَّسولُ: مَن أُوحِيَ إليهِ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ، وأُرسِلَ إلى قَوْمٍ مخالِفِين لِيُبَلِّغَهم رِسالَةَ اللهِ، كأولي العَزْمِ.

والنَّبِيُّ: مَن أُوحِيَ إليهِ لِيَعْمَلَ بِشَرْعِ مَن قَبْلَه ويحكُمَ بِه، كالأنبياءِ مِن بني إسرائيل مِن بعدِ مُوسى، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: 44].

النُّبُوَّةُ مِنْحَةٌ إلهِيَّة:

النُّبُوَّة تَفَضُّلٌ واختِيارٌ مِن اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: 75]، فليسَت غايَةً تُوصِلُ إليها الطُّرُقُ فيَبلغها البَشَر بجهْدِهِم، ولا رُتبةً تُنالُ بِالكَسْبِ، إنما هي مَنزِلَةٌ عالِيَةٌ، ورُتْبَة خاصَّة يختار لها اللهُ تعالى بمحْضِ فَضْلِهِ مَن يشاء مِن خَلْقِه، فَيُعِدُّهم ويُهَيِّئُهُم لِتَحَمُّلِها، فيحفَظُهُم مِن تَأثِير الشَّياطِين، ويصونهم عن الشِّرك، فضلاً مِنه ورحمة مِن غيرِ جُهْدٍ بَذَلوه، بل هي مِنْحَةٌ إلهيَّة ونِعْمَةٌ رَبّانِيَّة كما قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ [مريم: 58].

وقال لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: 144]،

وحكى الله تعالى قول يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ [يوسف: 6]، ففي الآيات السّابقة الدلالة الصَّريحة على أنّ النُّبوَّة لا تُنال بالعَظَمَة ولا بِالعَمَل، فهي نِعمَةٌ مِن الله تعالى ورحمة يَصْطَفِي لها بعضَ خَلْقِه بِعِلْمِهِ وحِكْمَتِه، فليست لِمَن يَتَحرّاها ولا لِمَن يَتمنّاها.

صِفاتُ الرُّسُلِ:

الرُّسُل هم الأُسْوَة الحسَنة في صِفاتهم وأخلاقِهم، والحديث عن صِفاتهم طَوِيل جِدّاً، لكن نَذْكُر مِنها:

أ- الصِّدْقُ:

أخبر الله تبارك وتعالى عن رُسله إنهم صادِقون بقوله: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: 52]، كما وصف بعضهم بذلك حيث قال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: 41].

وقال تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: 54].

وقال تعالى عن إدريس عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: 56].

وقال تعالى عن نَبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 33].

ولا شكّ أنّ الصِّدقَ هو لُبُّ الرِّسالَة، وبالدَّعوة بِه تستَقِيم الأُمُور وتُثْمِر الأعمالُ، والكَذِب مَنْقَصَةٌ يَتنزَّه عنها صَفْوَةُ الخلقِ.

ب- الصَّبْرُ:

إنَّ دعوَة النّاسِ إلى طاعَة اللهِ وتحذِيرهم مِن مخالَفَةِ أمرِهِ عَمَلٌ صَعْبٌ ومَسلَك شاقٌّ لا يُطِيقه كلّ أحَدَ، لكنّ رُسُلَ اللهِ صَلوات اللهِ وسَلامُه عليهِم هم صَفْوَة الخلقِ، فقد لاقُوا في سبِيلِ دَعْوتهم صُنوفَ المشاقِّ، وأنواعَ الأذى، فلم يُثْنِ ذلك عَزائِمَهم ولم يُوقِف إقدامَهُم. وقد قصَّ اللّهُ سبحانه وتعالى علينا أخبارَ بعضِ أنبيائِه، وما لاقوه مِن الأذى في سَبيل دعوتهم، وما

كان منهم مِن الصَّبر والتَّحمل في سبيل ظهور الحقّ وإعلاء كلمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: 34].

وقد أمرَ الله تعالى نبيَّه محمّداً ﷺ بالصَّبر أسوة بأولي العَزْم مِن الرُّسل فقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: 35].

مُعجِزات الرُّسُلِ عليهِم السَّلام:

تُعرَّف مُعجِزات الرُّسُلِ بأنَّها:

كلُّ خارِقٍ لِلعادَةِ يُظْهِرُهُ اللهُ تعالى على أيدِي أنبيائِه ورُسُلِه على وَجْهٍ يَعْجَز البَشَر عن الإتيانِ بمثلِه، وقد جرى على أيدي أنبياء الله ورسله ما تقوم به الحجّة، ويُلزِمُ العُقولَ بِالخضوع والتَّصديق بما جاء به الرُّسل، سواء بِطَلَبِ أقوامِهم أو بدون ذلك، وتسمَّى في القرآن: آيات.

وتلك المعجزات لن تخرج عن أن تكون:

1- إمّا مِن باب العِلْمِ، كالإخبارِ بالأمور الغائِبَة الحاضِرَة والماضية أو المستقبلية. فالأمور الغائِبة الحاضِرة كإخبار عيسى عليه السلام قومَه بما يأكلون وما يدَّخِرون في بيوتهم، وإخبارِ نبيِّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بوفاة النَّجاشِيّ. والأمور الغائِبَة الماضِيَة، كإخبارِ رسولِنا صلّى الله عليه وسلّم بأخبارِ الأُمَمِ السّابقة مما جاء في القرآن الكريم مِن ذِكْرِ قَصَصِهم. والأمور المستقبلية كإخبارِهِ صلّى الله عليه وسلّم بِالفِتَن وأشراطِ السّاعة مما سيأتي مستقبلاً في كثير من الأحاديث، وإخبارِهِ بمصارعِ صَناديدِ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ.

2- وإمّا مِن باب القُدْرَةِ، كتَحويل العَصا حيَّة، وهي آية موسى عليه السلام، وكانشِقاقِ القَمَر، هو آيةٌ مِن آياتِ صِدْقِ رَسولِنا صلّى الله عليه وسلّم.

3- وإمّا من باب الغِنى، كَحِمايَةِ الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم ممن أرادوا به سُوءاً في مَواضِع كثِيرَة في مَكَّة ليلة الهجرة، وفي الغارِ، وفي الطَّريق إلى المدينة عندما لحِقَ به سُراقَة بن مالك، وفي المدينة لَمّا حاوَل اليهود اغتِيالَه ونحو ذلك. فهذه الأمثلة تَدلُّ على أنَّ اللهَ أغنى رَسُولَه بها عن حِمايَةِ خَلْقِه.

التَّفريق بين المُعْجِزات والكَرامات وخَوارِق العادات:

الفَرْقُ بين المعجِزَة والكرامَة:

الكَرامَة: هي أَمْرٌ خارِقٌ لِلعادَةِ يجرِيهِ اللهُ تعالى على يَدِ وَلِّيٍّ، تَأييداً له أو إعانَة، أو تَثْبِيتاً أو نَصْراً لِلدِّين.

والفرق بينها وبين المعجِزة: أنَّ المعجِزَة تكون على يَدِ نَبِيٍّ، بينَما الكَرامة تكون على يَدِ وَلِيٍّ.

والمعجزة تكون مَقرونَةً بِالتَّحَدِّي بخلافِ الكَرامَةِ.

وهناك فروق كثيرة بين كرامات الأولياء وبين خَوارِقِ السَّحَرة والمشعوِذِين والدَّجّالين، منها:

1- أنَّ كراماتِ الأولياء سببها التَّقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوِذِين سبَبها الكُفر والفِسق والفُجور.

2- أنَّ كرامات الأولياء يُستعان بها على البِرِّ والتَّقوى أو على أُمورٍ مُباحة، وأعمالُ المشعوِذِين والدَّجّالين يُستَعان بها على أُمُورٍ شِرْكِيَّةٍ أو محرَّمَةٍ.

3- أنَّ كرامات الأولياءِ تَقْوَى بِذِكْرِ اللهِ وتَوحِيدِهِ، وخَوارِق السَّحَرة والمشعوذِين تَبْطُلُ أو تَضْعُف عند ذِكْرِ اللهِ وقِراءَةِ القُرآنِ.

4- أنَّ أولياءَ اللهِ لا يَستَغِلُّون ما يجريه اللهُ تعالى على أيدِيهِم مِن الكرامات لِلنَّصْبِ والاحتِيال ولَفْتِ النّاس إلى تَعظِيمِهِم، وإنما تَزِيدُهُم تَواضُعاً ومحبَّة للهِ وإقبالاً على عِبادَتِه. بخلافِ المشعوِذِين والدَّجّالين فإنهم يستغلون هذه الأحوال الشَّيطانِيَّة التي تجري على أيدِيهم لجلبِ النّاس إلى تَعظِيمِهِم والتَّقرُّب إليهِم وعِبادَتهم مِن دونِ اللهِ عزَّ وجلّ.

5- أنَّ الكَرامَة مِن اللهِ تعالى لا يطلبُها الوَلِيُّ بِفِعْلِه، بينَما السِّحْرَ والشَّعوَذة تكون بِفِعْلِ السّاحِر أو المشعْوِذِ عن طَرِيقِ استَعانَتِهِ بِالشَّياطِين [1].

---

(1) انظر للفرق بين آياتِ الأنبياء وبين السَّحرة والكَهنة: الكواشِف الجلية عن معاني الواسِطِية للسَّلمان.

الإيمانُ بالرُّسُلِ جَمِيعاً

معنى الإيمان بهم هو التَّصديق الجازِم بأنَّ الله تعالى بعَثَ في كلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً يدعُوهم إلى عبادَةِ اللهِ وحدَه لا شريك له، والكُفْرِ بما يُعْبَد مِن دُونِه، وأنَّ جميعَهم صادِقون كرامٌ بَرَرَةٌ هُداة مُهْتَدون، وأنهم بَلّغُوا جميعَ ما أرسلَهم اللهُ بِه، لم يكتُمُوا ولم يُغَيِّرُوا، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: 35 - 36].

وأنَّ بعضَهُم أفضَلُ مِن بَعْضٍ كما قال اللّه تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: 253].

وأفضَلُهُم أُولُو العَزْمِ، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأفضَل أولي العَزْمِ محمَّد صلّى الله عليه وسلّم.

والإيمان بهم جميعاً واجِبٌ، فمَن كَفَر بِواحِدٍ منهم فقد كَفَر بهم جميعاً، وهذا كُفْرٌ بمن أرسلَهم وهو اللّهُ تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: 150 - 152].

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 105]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 123]، ولم يكُن لِقَومِ نوحٍ وعادٍ إلّا نبيٌّ واحِدٌ، فلمّا كذَّبوه جعَلَ اللّهُ تَكذِيبَهُم له تَكْذِيباً لجمِيعِ الرُّسُلِ.

وكما يجب الإيمان بهم على وَجْهِ العمومِ مَن عَلِمْنا مِنهُم ومَن لم نعلَم، كذلك يجب الإيمان على وَجْهِ الخصوصِ بِكُلِّ مَن سمّى اللهُ سبحانه وتعالى مِنهم مع الاعتِقادِ بأنَّ للهِ تعالى رُسُلاً

سِواهُم كما قال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: 78].

ولبّ الإيمانِ بهم طاعَتُهم باتّباع أوامِرهم والابتِعاد عن مَناهِيهم. والسَّير على نهجهِم فهُم المبلِّغون عن اللهِ تعالى، وهم الأُسْوَة لأممِهم، وقد عَصَمَهم اللهُ تعالى فيما يخبِرون عنه سبحانَه وفي تَبليغِ رِسالَتِه باتِّفاقِ الأُمَّة، قال تعالى لِنَبيِّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: 31 - 32].

فطاعَة اللهِ تعالى وعِبادَتُه باتِّباعِهم والاقتِداء بهم.

والواجِب علينا هو العَمَلُ بِشَريعَةِ مَن أُرْسِل إلينا مِنهُم، وهو محمّد صلّى الله عليه وسلّم وهو خاتمهم، المبعوث إلى النّاسِ جميعاً قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65].

وليس مِن الإيمان بهم رَفْعُهم فَوْقَ مَنزلَتِهم التي جَعَلَها اللهُ تعالى لهم، فهم عِبادٌ مِن البَشَرِ اختارَهُم اللهُ وأعَدَّهم لحملِ رِسالَتِه، طَبائِعُهُم طَبائِع البَشَر، ولا يملِكون شيئاً مِن خَصائِصِ الأُلُوهِيَّة، فلا يعلَمون مِن الغَيْبِ إلّا ما أطلَعَهُم اللهُ عليه، قال تعالى آمِراً محمّداً صلّى الله عليه وسلّم إبلاغَ أُمَّتِه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الكهف: 110]، و[فصلت: 6].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام: 50].

وقد حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام قوله لقومه: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: 31].

الأسئِلَة:

س1: عرِّف النَّبيَّ لُغَةً، ولم سُمِّي النَّبيُّ نَبيّاً ؟

س2: ما الفرق بين النَّبيِّ والرَّسولِ ؟

س3: هل يمكن أن تُنالَ الرِّسالةُ بالجهدِ البَشرِيِّ ؟، وما المراد بكونها مِنحَةً إلهيَّةً ؟ مع

الاستِدلال على ذلك.

س4: تحدَّث عن بعضِ صِفات الرُّسل، مع الاستِدلال على ذلك.

س5: عرِّف المعجِزَة، مع التَّمثِيل لبعض المعجزات التي أظهَرها سبحانَه على أيدِي أنبِيائِه ورُسلِه.

س6: اذكر الفروق بين كراماتِ الأولياء وبين خَوارِق السَّحرة والمشعوذِين.

س7: ما حكم الإِيمان بِبَعض الرُّسل دون بعضٍ ؟، ومَن أفضَلهم ؟

س8: هل يجب الإِيمان بالأنبياء الذين لم يُذكَروا في القرآنِ ؟

الإيمانُ بِمُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وسلّم نَبِيّاً ورَسُولاً

يتضَمَّن الإيمان بِه صلَّى الله عليه وسلَّم ما يلي:

أ- عموم بِعْثَتِه صلّى الله عليه وسلّم إلى النّاس كافَّة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: 28]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: « وكان النَّبيُّ يُبْعَث إلى قَوْمِه خاصَّة وبُعِثْت إلى كُلِّ أحمَر وأسْوَد » [1]، وقال صلّى الله عليه وسلّم: « والذي نفسُ محمَّدٍ بِيَدِهِ لا يسْمَع بي أَحَدٌ مِن هذه الأُمَّةِ يَهُودِيّ ولا نَصْرانيّ ثم يموت ولم يُؤْمِن بالذي أُرْسِلت بِه إلّا كان مِن أصحاب النّار » [2].

وقد أكمَل اللهُ تعالى لنا الدِّين، وأتمَّ علينا النِّعمة، ورضيَ لنا الإسلامَ دِيناً، على يَدِ المبعوث رحمةً للعالمين، خاتم الأنبياءِ والمرسلين نَبِيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فهو رَسولُ اللهِ إلى جميع الثَّقلين الإنس والجنّ، بشيراً ونَذيراً وداعِياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسِراجاً مُنِيراً.

فيَلزَمُهم جميعاً الإيمان بِرسالَتِه صلّى الله عليه وسلّم، ومَن لم يُؤْمِن بِه استَحَقَّ عِقابَ اللهِ تعالى كَغَيْرِه مِن الكافِرين، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: 85].

ب- أنَّه خاتم الأنبياء والمرسلين وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 40].

والأحاديث الدّالّة على خَتْمِ النُّبوَّةِ كثِيرة، منها قوله صلّى الله عليه وسلّم: « إنَّ لي أسماء أنا محمّد، وأنا أحمَد، وأنا الماحِي يمحُو اللهُ بي الكُفْرَ، وأنا الحاشِر الذي يُحْشَرُ النّاس على قَدَمَيَّ،

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجِد ومواضِع الصَّلاة، رقم (521)، وأحمد في مسنده (412/2).

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نَبِيِّنا صلّى الله عليه وسلّم، رقم (153).

وأنا العاقِب الذي ليس بعدَه أَحَدٌ » [1].

وقوله صلى الله عليه وسلم:« فُضِّلتُ على الأنبياء بسِتٍّ، أُعطِيت جَوامِع الكَلِم، ونُصِرت بالرُّعْبِ، وأُحِلَّت لي الغَنـائِم، وجُعِلَت لي الأرضُ طَهوراً ومَسْجِداً، وأُرسِلْت إلى الخلقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّون » [2]. وقد خصّ صلّى الله عليه وسلّم بخصائِص ومُعجزات كثيرة، منها: المقامُ المحمود، وهو الشَّفاعة العُظْمى، والمعراج إلى السَّموات العلى إلى سِدرَةِ المنتهى إلى مُستَوىً سَمِعَ فيه صَرِيفَ الأقلامِ، فكان قابَ قَوْسَين أو أَدْنى.

ومنها: القرآنُ الذي هو أقْوى أدِلَّةِ صِدْقِه، مُعجِزةٌ خالِدةٌ تَكَفَّلَ اللهُ بحفظِها وصِيانَتِها مِن أيدِي العابِثِين، وغيرها كثير.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومسلم، كتاب الفضائل، باب: في أسمائِه صلّى الله عليه وسلّم، واللَّفظ له، وتفسير العاقِب المذكور ليس مِن نَصّ الحديث كما ذَكر ابن حجَر بل هو مُدْرَج.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضِع الصلاة، رقم (523)، ورواه أحمد في مسنده (412/2)، وأصله في البخاري.

دَلائِلُ النُّبُوَّةِ

هي الأدِلَّة التي يُعْرَف بها نُبُوَّة النَّبِيِّ الصّادِقِ، ويُعرَف بها كَذِبُ المدَّعِي لِلنُّبُوَّةِ.

ودَلائِل النُّبُوَّةِ كَثِيرَةٌ وغيرُ محصورَةٍ؛ فمنها:

المعجِزَة: وسَبق تَعريفُها، وهي دَلِيلٌ على صِدْقِ الرَّسولِ وصِحَّة رِسالَتِه.

ومُعجزات الرُّسُل - عليهم الصّلاة والسَّلام — كثيرة، منها، النّاقَة التي أوتيها صالح عليه السلام حُجَّةً على قَوْمِه، وقَلْبِ العَصا حيَّة آيةً لموسى عليه السلام، وإبراء الأَكْمَه والأَبْرَصِ وإحياء الموتى آيةً لعيسى عليه السلام، ومِنها مُعجِزات نَبِيِّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وهي كثيرة أعظَمها: القرآن الكريم، وهو المعجِزَة الخالِدَة التي تحدَّى اللهُ بها الجنّ والإنس، ومنها الإسراء والمعراج، وانشِقاق القَمر، وتَسْبِيح الحصا في كَفِّه صلّى الله عليه وسلّم، وحَنِين الجِذْع إليه، وإخباره عن حَوادِث المستَقْبَل والماضِي.

ومنها: إخبارُهم الأُمَم بما سيكون مِن انتِصارِهم، وخُذْلانِ أعدائِهم، وأنّ العاقِبَة لهم، فوَقَع كما أخبَروا ولم يَتَخَلَّف منه شَيء.

ومنها: أنَّ ما جاؤوا بِه مِن الشَّرائِع في غايةِ الإحكامِ والإتقانِ وهِدايَةِ الخلْقِ.

ومنها: أنَّ اللهَ يُؤَيِّدُهم تأييداً مُسْتَمِرّاً، وقد عُلِمَ مِن سُنَّتِه - سبحانَه - أنَّه لا يُؤَيِّد الكذّاب بمثل ما يُؤَيِّد بِه الصّادِق؛ بل لا بُدَّ أن يَفْتَضِح الكذّاب، وقد يمهِلُه اللهُ ثم يُهْلِكه.

ومنها: أنَّ طَرِيقَتَهم واحِدَة فيما يَأمُرون بِه مِن عِبادَةِ اللهِ وطاعَتِه والتَّصدِيقِ بِاليومِ الآخِر وغيرِ ذلك، فلا يمكِن خُروجُ واحِدٍ مِنهم عمّا اتّفقوا عليه، فهم يُصَدِّق مُتَأخِّرُهم مُتَقَدِّمُهم، ويُبَشِّر مُتَقَدِّمُهُم بمتَأَخِّرِهِم [1].

(1) كتاب الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرّدّ على أهل الشرك والإلحاد (157/2) للشيخ د. صالح الفوزان بتصرف.

الإسْراءُ والمِعْراجُ

المراد بالإسْراء: سَيْرُ جبريلَ عليه السلام بِالنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم مِن مَكَّةَ إلى بَيْتِ المقدِسِ لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: 1].

والمعراج: هو صُعُوُد جِبريلَ بِرَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم مِن الأرضِ إلى السَّمواتِ العُلا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: 1 - 18].

وكانا في ليلةٍ واحِدَةٍ بعد البِعْثَةِ وقَبْلَ الهجرَةِ بِسَنَةٍ، وقِيلَ بِأَكْثَر، وذلك يَقَظَةً لا مَناماً بِرُوحِهِ وجَسَدِهِ صلّى الله عليه وسلّم.

وقِصَّةُ ذلك: أنَّ اللهَ تعالى أمَرَ جِبريلَ أن يَسْرِيَ بِالنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم إلى بَيْتِ المقدِسِ على البُراقِ، فَصَلّى فيه رَكْعَتَين، ثم عُرِجَ بِهِ إلى السَّموات العُلى سَماءً سماءً، وتلقّاه في كلِّ سَماءٍ مُقَرَّبوها، وسَلَّم عليهِ الأنبياء الذين فيها، حتى مَرَّ بموسى في السَّماء السّادِسَة، وإبراهِيم الخليل في السّماء السّابعة، ثم جاوَز مَنْزِلَتَهُما حتى انتَهى إلى مُسْتَوى يسَمْعَ فيه صَرِيفَ الأقْلام، ورأى سِدْرَةَ المنْتَهَى، ورأى هناك جِبريلَ على صُورَتِه وله سِتُّ مِئة جَناحٍ، ورأى البَيْتَ المعمُورَ، وفَرَضَ اللهُ عليه الصَّلواتِ الخمْسِ، واطَّلَع على الجنّة والنّار، واتَّصَلَ بِالأنبياء الكِرام وصلَّى بهم إماماً، ثم رَجَع إلى مَكَّةَ فحَدَّثَ النّاسَ بما رأى، فَكَذَّبَه الكافِرون، وصَدَّقَ بِه المؤمِنون، وتَرَدَّد فيه آخَرون (1).

ولَمّا سمِع المشركون قَولَه أَتَوْا أبا بَكْرٍ رضي الله عنه فقالوا: يا أبا بكر هل لك في صاحِبِك يخبِر أنَّه أتى في لَيْلَتِه هذه مَسِيرَة شَهْرٍ ورَجَع في لَيْلَتِه ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنْ كان قالَه فَقَد صَدَقَ، وإنّا لَنُصَدّقُه فيما هو أبعَد مِن هذا، لَنُصَدِّقُه على خَبَرِ السَّماء. ومِن ذلك سمِّيَ أبو بكر رضي الله عنه الصِّديق.

---

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب: كيف فُرِضَت الصَّلوات في الإسراء، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرض الصَّلوات، رقم (162).

الأسئِلَة:

س1: ما مقتضى الإيمان بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم ؟

س2: اذكر الأدلَّة على خَتْمِ النُّبوَّة، وأنَّ محمَّداً صلّى الله عليه وسلَّم آخِر الأنبياء والمرسلين.

س3: اذكر بعض الخصائِص والمعجِزات التي خصّ بها نَبِيُّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

س4: ما دَلائِل النُّبُوَّة ؟ اذكر بعضاً منها.

س5: ما المراد بالإسراء والمعراج ؟، ومتى حصل ذلك لِلرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم ؟

س6: هل كان الإسراء والمعراج بالرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم يَقَظَةً أو مَناماً ؟، وهل كان بِرُوحِهِ وجَسَدِهِ أم بِروحِه فقط ؟

س7: ما مَوْقِفُ المشرِكين مِن حادِثَة الإسراءِ والمعراجِ ؟، وما موقف أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه.

الرُّكن الخامِس: الإيمانُ باليَوْمِ الآخِرِ

الإيمان بِاليَوْمِ الآخِر هو الركن الخامِس مِن أركانِ الإيمان.

والمراد بِه: الاعتِقاد الجازِم بِصِدْقِ كلِّ ما أخبَر به اللهُ عزَّ وجلَّ في كِتابِه العَزِيز، أو أخبَرَ بِه رسولُه صلّى الله عليه وسلّم ممّا يكون بعد الموت، ويشمَل ذلك: فِتْنَةَ القَبْرِ وعَذابه ونَعِيمَه، وما بعد ذلك مِن البَعْثِ والحشْرِ وتَطايُر الصُّحُفِ والحسابِ، والميزان والحوض والصِّراط والشَّفاعَة والجنَّة والنّار وما أَعَدَّ اللهُ تعالى لأهلِهِما فيهِما.

الأدِلَّة على وُجُوبِ الإيمانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ:

أ- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 62].

ب- قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية [البقرة: 177].

ج- قَوْلُ اللهِ تعالى عن البَعْثِ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: 16].

د- قَوْلُ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم جَواباً لجبريلَ عليه السلام حين سأَلَه عن الإيمان: « أن تؤمِنَ باللهِ ومَلائِكَتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليَوْمِ الآخِرِ، وتؤمن بِالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّه » [1].

(1) رواه مسلم في صحيحه (١/٣٦)، وقد سبق تخريجه أوَّل الكِتاب.

عَذابُ القَبْرِ ونَعِيمُه

تَواتَرت الأخبارُ عن الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم في ثبوتِ سُؤال الملَكَيْنِ، ونَعِيمِ القَبْرِ وعَذابِهِ، فالإيمان بذلك واجِب.

ونَعِيمُ القَبْرِ وعَذابُه يحصل لِمَن استَحَقَّ النَّعِيمَ أو العَذاب، قُبِرَ أو لم يُقْبَرْ، أَكَلَتْه السِّباع، أو احترَقَ حتّى صارَ رَماداً أو غَرِقَ في البَحْرِ أو غير ذلك. والأدِلَّة على ذلك كثيرة جدّاً، منها:

أ- قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: 27]، فقد دلَّت الآيَةُ على السُّؤالِ في القَبْرِ.

ب- قول الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]، فدلَّت الآيَة على ثُبوت عَذابِ القبر.

ج- روى الشَّيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم على قبرين فقال:« إنهما لَيُعَذَّبانِ وما يُعَذّبان في كَبِير، ثم قال: بلى، أمّا أحدهما فكان يَسْعَى بالنَّمِيمَة، وأمّا الآخر فكان لا يَسْتَتِر مِن بَوْلِه، قال: ثم أخذَ عُوداً رَطْباً فكَسَره باثْنَتَيْن ثم غَرَزَ كُلّ واحِدٍ منهما على قَبْرٍ، ثم قال: لَعَلَّه يخفَّف عنهما ما لم يَيْبَسا » [1].

د- روى الإمام أحمد وأبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجْنا مع النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم في جَنازَةِ رَجُلٍ مِن الأنصار، فانتَهَيْنا إلى القَبْرِ ولَمّا يُلْحَد، فجَلَس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وجَلَسْنا حَوْلَه، وكأنَّ على رُؤوسِنا الطَّير، وفي يَدِهِ عُودٌ ينكت في الأرض، فَرَفَع رأسَه فقال: استَعِيذوا باللهِ مِن عَذابِ القَبْرِ مرَّتين أو ثلاثاً، ثم قال:« إنَّ العَبْدَ المؤمِن إذا كان في انقطاعٍ مِن الدُّنيا وإقبالٍ مِن الآخِرَة نَزَلَ إليهِ مَلائِكَة مِن السَّماء بِيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وُجوهَم الشَّمس، معهم كَفَنٌ مِن أكفانِ الجنَّة، وحَنُوطٌ مِن حَنوطِ الجنَّة، حتى يجلِسوا منه مَدَّ البَصَر، ثم يجِيء مَلَك الموت عليه السلام، حتى يجلِسَ عند رَأْسِه فيقول: أَيَّتُها النَّفْس الطَّيِّبَة اخرُجي إلى مَغْفِرَة مِن اللهِ ورِضْوان، قال: فتَخْرُج تَسِيلُ كما تَسِيلُ القَطْرَة مِن فِيِّ السِّقاء، فيأخُذها، فإذا أخذَها لم

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: عذاب القبر من الغيبة والبول، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: الدَّليل على نجاسَة البول ووُجوب الاستِبراء منه، رقم (111)، واللَّفظ للبخاري.

يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتّى يأخُذوها، فيَجْعلوها في ذلك الكَفَنِ وفي ذلك الحَنُوط، ويخرج منها كأطْيَبِ نَفْحَة مِسْكٍ وُجِدَت على وَجْهِ الأرضِ، قال: فيَصْعَدون بها فلا يمرُّون يعني بها على مَلإٍ مِن الملائِكَة إلّا قالوا: ما هذ الرُّوح الطَّيِّب، فيقولون: فُلانٌ بن فُلانٍ بِأحسَن أسمائِه التي كانوا يُسَمّونه بها في الدُّنيا، حتى ينتَهوا بها إلى السَّماء الدُّنيا، فيَسْتَفْتِحون له فَيُفْتَح لهم فَيُشَيِّعُه مِن كلِّ سماءٍ مُقَرَّبوها إلى السَّماءِ التي تَلِيها، حتى يُنتهَى بِه إلى السَّماءِ السَّابِعَة، فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتُبوا كِتابَ عَبْدِي في عِلِّيِّين، وأعيدوهُ إلى الأرضِ فإني منها خَلَقْتُهم وفيها أُعِيدُهُم ومِنها أُخرِجُهُم تارَةً أخرى، قال: فتُعاد رَوحُه في جَسَدِه، فيأتِيه مَلَكان فيُجلِسانِه، فيقولان له: مَن رَبُّك ؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دِينُك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول: هو رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، فيقولان له: وما يُدْرِيك ؟ فيقول: قَرَأْت كِتابَ اللهِ فآمَنْتُ بِه وصَدَّقْت، فَيُنادِي مُنادٍ مِن السَّماءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فافرِشُوه في الجنَّة، وألبِسُوه مِن الجنَّةِ، وافتَحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتِيه مِن رَوْحِها وطِيبِها، ويُفْسَح له في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِه، قال: ويأتيه رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسُن الثِّيابِ، طَيِّب الرِّيح، فيقول: أبشِر بالذي يَسُرُّك، هذا يَوْمُك الذي كنت تُوعَد، فيقول له: مَن أنت ؟ فَوجْهُك الوَجْه يجِيء بِالخيرِ، فيقول: أنا عَمَلُك الصّالح، فيقول: رَبِّ أَقِمِ السّاعَة حتى أرجِعَ إلى أهلِي ومالي، قال: وإنَّ العَبْدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطاعٍ مِن الدُّنيا، وإقبالٍ مِن الآخِرة، نَزَل إليه مِن السَّماء مَلائكة سُود الوُجوه، معهم المسوح، فيجلِسون منه مَدَّ البَصر، ثم يجيءُ مَلَك الموت حتى يجلسَ عند رأسِه، فيقول: أيَّتُها النَّفس الخبِيثَة، اخرجِي إلى سَخَطٍ مِن اللهِ وغَضَبٍ، قال: فتَفرَّق في جَسَدِه فَيَنْتَزِعُها كما يُنْتَزَع السَّفُّود مِن الصُّوفِ المبلولِ، فيأخُذها، فإذا أخذَهَا لم يَدَعوها في يَدِهِ طَرْفَة عَيْنٍ، حتى يجعلوها في تلك المسوح؛ ويخرج منها كأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَت على وَجْهِ الأرض، فيَصْعَدون بها، فلا يمرُّون بها على مَلإٍ مِن الملائِكَة إلّا قالوا: ما هذا الرُّوح الخبيث ؟ فيقولون: فلان بن فلان، بِأقْبَحِ أسمائِه التي كان يُسمَّى بها في الدُّنيا، حتى يُنْتَهَى بِه إلى السَّماء الدُّنيا، فَيُسْتَفْتَح له فَلا يُفْتَح له، ثمَّ قَرَأَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: 40].

فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتُبوا كتابَه في سِجِّين في الأرض السُّفلى، فَتُطْرَح رُوحُه طَرْحاً، ثم

قــــرأ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[الحــــج: 31].

فتُعاد رُوحُه في جَسَدِهِ، ويأتِيه مَلَكان فيُجلسانِه فيقولان له: مَن رَبُّك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دِينُك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بُعِثَ فِيكم ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيُنادِي مُنادٍ مِن السَّماء أَنْ كَذَبَ فافْرِشوا له مِن النّار، وافتَحوا له باباً إلى النّار، فيَأتِيه مِن حَرِّها وسمومِها ويَضِيقُ عليه قَبْرُه حتى تختَلِفَ فيه أضْلاعُه، ويأتِيه رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فيقول: أَبْشِر بِالذي يَسُوءُك، هذا يومُك الذي كنت تُوعَد، فيقول: مَن أنت ؟ فَوَجْهُك الوَجْهُ يجِيء بِالشَّرِّ، فيقول: أنا عَمَلُك الخَبِيث، فيقول: رَبِّ لا تُقِمِ السّاعَةَ (1).

هـ- روى الشَّيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو: « اللَّهمّ إني أعوذ بك مِن عذابِ القبر، ومِن عذاب النّار، ومِن فِتْنَةِ المحيا والممات، ومِن فِتْنَة المسِيح الدَّجّال » (2)، إلى غير ذلك مِن الأدِلَّة التي تدلُّ على أنَّ الميِّت يُمْتَحَن في قَبْرِه، فمَن ثَبَّتَه اللهُ تعالى وأجابَ بالحقِّ فُسِحَ له في قَبْرِه، وأوتي مِن نَعِيمِ الآخِرَة، ومَن ضَلَّ الصَّوابَ في سُلوكِه في الحياة الدُّنيا فلَن يُوفَّق لِلصَّواب عند سُؤالِ الملكَيْنِ، فيُضَرب بمطارِقَ مِن حَدِيدٍ ويَضِيق عليه قَبْرُه، ويناله مِن العَذابِ بحسَب ذُنوبِه إلى أن تقومَ السّاعَة، أو إلى فَتْرَةٍ مِن الزَّمَن.

الأسئِلَة:

س1: ما المراد بالإيمان باليوم الآخر ؟

س2: هناك أمور أخبَرَ الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم أنها تكون بعد الموت، أذكر بعضاً منها.

س3: ما وَجْه الاستِدلال على الإيمان باليَوم الآخِر مِن النُّصوص التالية:

---

(1) رواه أحمد (287/4)، وأبوداود، كتاب السنة، باب: في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (4753)، والحاكم في المستدرك (37-39/1)، وصَحَّحه، وابن القَيّم في تهذيب السُّنَن.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: التَّعوُّذ مِن عَذاب القبر، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومَواضِع الصَّلاة، باب: ما يُستعاذ مِنه في الصَّلاة، رقم (588).

أ- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 62].

ب- قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ [البقرة: 177].

ج- قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: 16].

د- قول الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم لجبريل حِينَما سأله عن الإيمان: « أن تؤمِن بالله وملائِكته وكتُبه ورُسلِه واليوم الآخِر، وتُؤمِن بالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّه ».

س4: ما حُكْمُ الإيمانِ بسُؤالِ الملَكَيْنِ ونَعِيمِ القَبْرِ وعَذابِهِ ؟، مع ذِكْرِ الدَّلِيلِ.

القِيامَة وعَلاماتُها

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: 59].

وعِلْمُ السّاعَة مِن مَفاتِيحِ الغَيْبِ التي اسْتَأْثَر اللهُ بها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: 34].

وقد دلَّ على وُقُوعِها أدِلَّة كثيرة جدّاً، منها:

أ- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [غافر: 59].

ب- قول الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: 1].

ج- قول الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم: « بُعِثْتُ أنا والسّاعةِ كهاتَيْنِ ويَقْرِن أصبُعَيه السَّبّابَة والوُسْطى » [1].

ومع قَطْعِيَّة ثبوتها ووجوبِ الإيمانِ بها فقد اسْتَأثَر اللهُ تعالى بِالعْلِم بِوَقْتِ وُقوعِها، فلم يُطْلِع أحداً على تحدِيدِه، لكنَّه أخبَرَه بِعلامات تدلُّ على قُرْبِ وُقوعِها.

وأما أدلَّة اسْتِئْثارِ اللّهِ بِعِلْمِها فكثيرة أيضاً، ومنها ما يلي:

أ- قول اللّه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: 34].

ب- قول اللّه تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: 63].

عَلاماتُ السّاعَة:

لَمّا اقتَضَت حِكْمَة اللهِ تعالى إخفاءَ وَقْتِ وُقوعِها أعلَم نَبِيَّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بأماراتِ قربها، فأخبرنا صلّى الله عليه وسلّم بِعلاماتٍ كثيرَةٍ يدلُّ ظهورُها على قُرْبِ وُقوعِ السّاعة، وهي نَوعانِ، عَلاماتٌ صُغْرى تدلُّ على قُربها، وعلامات كُبرى تكون بين يَدَيْها قَرِيباً،

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: قول النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: بُعِثْت أنا والسّاعة كهاتين، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، رقم (2951)، واللَّفظ له.

تَنْهالُ مُتَتابِعَةً.

فَمِن علاماتِها الصُّغرى ما يلي:

أ- جاء في حديث جبريل عليه السّلام حين سأل الرّسولَ صلّى الله عليه وسلّم: متى الساعة ؟ قال:« ما المسؤول عنها بأعلَم مِن السّائل، وسأخبرك عن أشراطِها [1]، إذا ولَدَت الأَمَةُ رَبَّها [2]، وإذا تطاوَل رُعاةُ البُهْمِ [3] في البُنْيانِ [4].

ب- ومنها قِتال المسلمين لليهودِ وانتِصارِ المسلمين عليهم، عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال:« لا تقوم السّاعة حتى يُقاتِل المسلمون اليَهُودَ فَيَقْتُلُهم المسلمون حتى يَختَبِئَ اليَهُودِيّ مِن وراءِ الحجَرِ والشَّجَر، فيقول الحجَر والشَّجر: يا مُسْلِم يا عبدَ اللهِ هذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعالَ فاقْتُلْه إلّا الغَرْقَد؛ فإنَّه مِن شَجَرِ اليَهُودِ » [5].

والعلامات الصُّغرى التي أخبر بها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يطولُ ذكرها كتَقارُبِ الزّمان، ونَقْصِ العِلْمِ، وظُهورِ الفِتَنِ، وكَثْرَةِ القَتْلِ، وكَثْرَةِ الزّنا والفُسوقِ، وغيرِ ذلك.

وأمّا العَلاماتُ الكُبرى فمِنها:

خُروجُ الدَّجّالِ:

المسِيح الدَّجّال: وهو مَسِيح الضَّلالَةِ - نعوذ باللهِ مِن فِتْنَتِه -، فقد أنذَرَت بِه الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام أقوامَها وحَذَّرَت منه أممها وبَيَّنَت أوصافَه، وحَذَّر منه نَبِيُّنا محمَّد صلّى الله عليه وسلّم أكثَر وبيَّن أوصافَه بأحادِيثَ كثِيرة بلغَت حدَّ التَّواتُرِ.

(1) الأشراط: جمع شرط - بفتح الشين والراء - والأشراط العَلامات، وقيل: المقدّمات، وقِيل صِغار أُمورِها قبل تمامِها.

(2) ربها: أي: سَيِّدَها ومالِكَها.

(3) البُهْمُ: الصِّغار مِن أولادِ الغَنَم.

(4) رواه البخاري في صحيحه (20/1)، وانظر: صحيح مسلم (39/1).

(5) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: قتال اليهود، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم السّاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكانَ الميِّت مِن البَلاء، رقم (2922)، واللَّفظ له.

وسُمِّيَ بِالمسِيحِ؛ لأنَّ عَيْنَه ممسوحَة، وقِيل: لأنَّه يمسَح الأرضَ، أي: يَقْطَعُها. وقيل: سُمِّيَ الدَّجَّال مِن الدَّجَلِ، وهو الخَلْطُ؛ لأنَّه يَكْثُر منه الكَذِبُ والتَّلْبِيس.

وهو يخرُج في زَمانِ المهدِيّ بعد فَتْحِ المسلِمين لِلقُسْطَنْطِينِيَّة [1]، ويكون بِدْءُ ظُهورِهِ مِن أصبهان، ويتبَعه مِن يَهودِ أصبَهان سبعون ألفاً عليهم الطَّيالِسَة [2]، ويظهَر أوّلاً في صُورَةِ مَلِك مِن الملوك الجبابِرَة، ثم يدَّعِي النُّبُوَّةَ، ثم يَدَّعِي الرُّبوبِيَّة، فيَتْبَعه على ذلك جَهَلَة بني آدَم ويخالِفُه وَيَرُدُّ عليه مَن هَداه اللهُ مِن الصّالحين.

ولا يَبْقى بَلَدٌ مِن البُلدانِ إلّا ودَخَلَه غيرَ مَكَّة والمدِينَة، ومُدَّة مَقامِه في الأرضِ أربعونَ يَوْماً، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، ويومٌ كَشَهْرٍ، ويومٌ كجُمُعَةٍ، وسائِر أيّامِه كأيّام النّاسِ هذه.

ويجري اللهُ على يَدَيْه خَوارِق كَثِيرَة يَضِلُّ بها مَن يَشاء مِن خَلْقِه، ويُثَبِّت معها المؤمنون فَيَزدادون إيماناً مع إيمانهم.

ويكون نزولُ عيسى بن مريم عليه السَّلام مَسِيح الهدى في أيّام المسِيح الدَّجّال على المنارَة الشَّرقية بدِمشق فيَجْتَمِع عليه المؤمنون فيَسِير بهم قاصِداً نحو الدَّجّالِ، وقد تَوَجَّه نحو بَيْتِ المقدِس فيَلحَقُه عند بابِ مَدِينَة لُدٍّ [3] فيَقْتُله بحَرْبَتِه وهو داخِلٌ إليها.

وتدُلّ النُّصوصِ في أَمْرِ الدَّجّالِ أنَّ مَن استجابَ له يَأمُر السَّماءَ فَتُمْطِر لهم، والأرضَ فتُنْبِت، ومَن لا يَستَجِيب له ويَرُدُّ أمْرَه تُصِيبُهم السَّنَة والقَحْطُ ومَوْت الأنعامِ ونَقْص الأموالِ والثَّمرات، وأنَّه تَتْبَعه كُنوز الأرضِ كيعاسِيبِ النَّحْلِ.

وهو مع كلّ هذا هَيِّن على اللهِ ناقِصٌ، ظاهِرُ النَّقْصِ والفُجورِ، مكتوبٌ بين عَيْنَيْه: كافِر. وما يجرِيه اللهُ على يَدَيْه محنَةً لِلعِبادِ لا ينجُو منها إلّا أهل الإيمانِ واليَقِين. ولذا حَذَّرت منه الأنبياء أممَها، وأشَدُّهم تحذِيراً لأمَّتِه محمَّدٌ صلّى الله عليه وسلّم.

وقد أمَر النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أُمَّتَه بالاستِعاذَة مِن فِتْنَتِه في آخِر كلّ صَلاةٍ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« إذا فَرَغ أحدُكُم مِن التَّشَهُّد الآخِر

(1) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في فتح القسطنطينية وخروج الدجال، رقم (2897).

(2) نَوْعٌ مِن الأوشِحَةِ يحيطُ بِالبَدَن.

(3) لُدّ: بلدَة قَرِيبَة مِن بيت المقدِس.

فليَتعَوَّذ باللهِ مِن أربَع: مِن عذابِ جهَنَّم، ومِن عَذاب القَبْر، ومِن فِتْنَة المحيا والممات، ومِن شَرِّ المسِيح الدَّجّالِ » رواه مسلم [1].

وأمَر صلّى الله عليه وسلّم مَن سمع بِه أن يَنْأى عنه، ومَن أدْرَكَه أن يَقْرَأ عليه فَواتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ.

وعن أنس ﷺ قال: قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم:« ما بُعِثَ نَبِيٌّ إلّا أنذَر أُمَّتَه الأعوَرَ الكذّاب، ألا إنَّه أَعْوَر، وإنَّ رَبَّكُم ليس بِأَعْوَر، وإنَّ بين عَيْنَيْه مَكتوب كافِر » متفق عليه[2].

والواجِب على المؤمِن الإيمان بما جاء عن اللهِ عزَّ وجلَّ، وما صَحَّ عن رسولِه صلّى الله عليه وسلّم [3].

وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعَةِ على خُروجِ الدَّجّال في آخِرِ الزَّمانِ، وذَكَرُوه ضِمْنَ مَباحِثِ العَقِيدَة، ولم يُنكِر خُروجَه إلّا بعض المبتَدِعَة كالخوارِجِ والجهمِيَّة وبعضِ المعتَزِلَة.

نُزولُ عِيسى بن مَرْيَم عليه السَّلام:

نُزولُ عِيسى ﵇ ثابت بِالكتابِ والسُّنَّة وإجماعِ المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: 159]، أي: قَبْلَ مَوْتِ عِيسى وذلك حين نُزولِه كما فسَّره أبو هريرة بذلك [4].

وفسَّره بذلك أيضاً ابن عباس[5]، وقال ابن كثير عن إسنادِه: صحيح [6].

وفي الصَّحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« والذي

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يُستَعاذ منه في الصّلاة، رقم (588).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، رقم (7131)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر المسيح الدجال وصفته وما معه، رقم (2933).

(3) يُنصَح بِقراءة أحاديث الدَّجّال في آخِر صحيح مسلم، باب: ذكر الدَّجّال وصِفَته وما معه وخمسة أبواب بعده.

(4) انظر: صحيح البخاري (490/6)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم، رقم (155).

(5) تفسير الطبري (١٨/٦).

(6) النهاية – الفتن والملاحم (١٣١/١).

نفسي بِيَدِه، لَيُوشِكَنَّ أن يَنْزِلَ فيكُم ابن مَرِيم حَكَماً عَدْلاً، فيَكْسِر الصَّلِيبَ، ويَقْتُل الخنزيرَ، ويضَع الجِزْيَةَ، ويَفِيض المالُ حتى لا يَقْبَلَه أحَدٌ، حتى تكون السَّجْدَة الواحِدَة خيراً مِن الدُّنيا وما فِيها » (1).

وروى مسلم عن جابر ﷺ قال: سمعت النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقول:« لا تَزالُ طائِفَة مِن أُمَّتي يُقاتِلون على الحقِّ ظاهِرين إلى يوم القِيامَة، قال: فينزل عِيسى بن مريم عليه السَّلام فيقول أمِيرُهُم: صَلِّ لنا، فيقول: لا؛ إن بَعْضَكم على بَعْضٍ أمراء؛ تَكْرِمَة اللهِ هذه الأُمَّةِ (2)» والأحاديث في نُزولِه عليه السّلام مُتَوَاتِرَةٌ.

وقد أجمع علماءُ الأُمَّةِ على نُزولِ عِيسى عليه السلام واعتَبروه ممّا يجِب اعتِقادُه والإيمانُ بِه. وعيسى عليه السلام حيٌّ في السَّماء لم يمت بعد، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: 157 - 158].

ثم يَنْزِل في آخِرِ الزَّمانِ مِن السَّماءِ ويحكُم بِالكتابِ والسُّنَّة لا بِشَرِيعَةٍ مُسْتَقِلَّة، ويكون نُزولُه على المنارَةِ البَيْضاء شَرْقَي دِمَشْق، ويقتُل الدَّجّالَ في بابِ لُدٍّ، ويكسِر الصَّلِيب، ويقتُل الخنزيرَ، ويَضَع الجِزْيَةَ، ولا يقبَل إلّا الإسلامَ.

ويكون نُزولُه على الطّائفة المنصورة التي تُقاتِل على الحقِّ، وتكون مجتَمِعَة لِقتال الدَّجّال، فينزِل وقَتْ إقامَةِ الصَّلاة ويُصَلّي خَلْفَ أمِيرِ تلك الطّائِفَة، وبعد قَتْلِه لِلدَّجّالِ وخروج يأجُوجَ ومأجُوجَ وإهلاكِ اللهِ لهم يَنْتَشِر الأَمْنُ وتَظْهَر البَرَكَة كما في صحيح مسلم مِن حديث النَّواسِ بن سَمعان مرفوعاً:« ثمَّ يُرسِل اللهُ مَطَراً لا يُكِنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ (3) ولا وَبَرٍ، فيَغْسِل الأرضَ حتى يَتركها كالزَّلَفَةِ (4)، ثم يُقال للأرضِ: أنبِتي ثَمَرَتَكِ ورُدِّي بَرَكَتَك، فيَومئِذ تأكُل العِصابَة مِن الرُّمّانَة ويستَظِلون بِقَحْفِها، ويُبارَك في الرِّسْلِ (5) حتى إنَّ اللُّقْحَة مِن الإبِل لَتَكْفِي الفِئامَ مِن النّاسِ،

(1) انظر: صحيح البخاري ومسلم، الموضعين السّابقين، واللَّفظ لمسلم.

(2) رواه مسلم في صحيحه، رقم (١٥٦).

(3) المَدَر: الطِّين الصّلْب.

(4) كالزَّلَفَة – بفتح الزاي واللّام والفاء – أي: كالمرآةِ لِصفائِها ونَظافَتِها..

(5) الرِّسْل – بكسر الرّاء وإسكان السّين – هو: اللَّبَن.

واللُّقْحَة مِن الإبِل لَتَكْفِي القَبِيلَة مِن النّاس، واللُّقْحَة مِن الغَنَم لَتَكْفِي الفَخِذَ مِن النّاس، فبَيْنَما هم كذلك إذ بَعَثَ اللهُ ريحاً طَيِّبَة فتأخُذَهم تحتَ آباطِهِم، فتَقْبِض رُوحَ كلِّ مُؤْمِنٍ وكلّ مُسْلِمٍ، ويبقَى شِرار النّاسِ يتَهارَجون تَهارُجَ الحمُر، فعَلَيهِم تَقوم السّاعَة » (1).

يَأْجُوجُ ومَأجُوجُ:

خُروجُ يَأجُوجَ ومَأْجُوجَ ثابِتٌ بِالكتابِ والسُّنَّة وإجماعِ الأُمَّةِ قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧ ﴾ [الأنبياء: 96 - 97].

وعن النّواس بن سمعان رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قال:« إنَّ اللهَ يُوحِي إلى عِيسى بن مريم عليه السّلام بعد قَتْلِهِ الدَّجّالَ أني قد أَخْرَجْت عِباداً لي لا يَدانِ لأحَدٍ في قتالهم فَحَرِّزْ عِبادي إلى الطُّور، ويبعَثُ اللهُ يأجوجَ ومَأجوجَ وهم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون، فيَمُرُّ أوَّلهم على بحَيْرَةِ طَبَرِيَّة فيشربون ما فيها، ويمُرُّ آخِرهُم فيقولون: لقد كان بهذه مَرةً ماءٌ، ويُحْصَرُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه حتى يكون رأسُ الثَّوْرِ لأحَدِهِم خَيْراً مِن مِئَة دِينارٍ لأحَدِكُم اليومَ، فيَرغَب نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه فيرسِل اللهُ عليهم النَّغَف (2) في رِقابهم فيُصبِحون فَرْسَى كَمْوتِ نَفْسٍ واحِدَةٍ، ثم يَهْبِط نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه إلى الأرضِ فلا يجدون في الأرضِ مَوْضِع شِبْرٍ إلّا مَلأَه زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُم، فيرغَب نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه إلى الله فيُرسِل اللهُ طيراً كأعناقِ البُخْت (3) فتَحْمِلهم فَتَطْرَحهُم حيث شاءَ الله » رواه مسلم (4).

وهما أمَّتان مِن بني آدَم موجودتان، وقد أخبرَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عن قُرْبِ خُروجِهِم وحذَّر منهم، ففي الصَّحيحين عن زينَب بنت جحش أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم اسْتَيْقَظ مِن نَوْمِهِ وهو يقول:« لا إله إلّا الله، وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِن شَرٍّ قد اقترَب، فُتِحَ اليَوْمَ مِن رَدْمِ يأجُوجَ ومَأجُوجَ مِثْلُ هذه » « وحَلَّقَ بِأُصْبُعَيْه الإبهام والتي تليها » قالت زينب بنت جحش: فقلت:

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب: ذكر الدّجّال وصفته وما معه، رقم (2937).

(2) النَّغَف: دُودٌ يكون في أُنُوفِ الغَنَمِ والإبِل.

(3) البُخْت نوع من الإبل..

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (2937).

« يا رسولَ اللهِ، أنهلَكُ وفينا الصّالحون ؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الخبَثُ » متفق عليه [1]، وهذا الحديث يدلّ على أنَّ خروجَهم وإن لم يأتِ بعد إلّا أنّ بَوادِرَه وُجِدَت على عَهْدِ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو فَتْحُ جُزْءٍ يَسِيرٍ مِن السَّدِّ الذي بناه ذو القَرنَيْن لِيَحجز بين يأجوج ومأجوج وجيرانهم الذين استغاثوا به منهم، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝ ﴾ [الكهف: 92 - 99].

خُروجُ الدّابَّةِ:

المرادُ بها الدّابَّة التي يخرجُها اللُ قُرْبَ قِيامِ السّاعَة. وخروجُها ثابت بالقرآن والسُّنَّة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: 82].

فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذِكْر خروجِ الدّابَّة، وأنَّ ذلك يكون عند فسادِ النِاسِ وتركِهم أوامِر اللهِ وتَبْدِيلِهِم الدِّين الحقّ، يخرِجِ الله لهم دابَّة مِن الأرضِ، فَتُكَلِّم النّاس على ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« ثلاثٌ إذا خرَجْن لا ينفَع نفساً إيمانها لم تكُن آمنَت مِن قبل أو كَسَبت في إيمانها خيراً: طُلوعُ الشَّمس مِن مغربِها، والدَّجّال، ودابَّة الأرضِ » [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال:« بادِروا بالأعمالِ سِتّاً: طلوع الشَّمس مِن مغربِها، أو الدُّخان، أو الدَّجّال، أو الدّابَّة، أو خاصَّة أحَدِكُم، أو أمر العامَّة »[3].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (381/6)، كتاب الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم (2880).

(2) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان، رقم (158).

(3) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب: في بقية من أحاديث الدجال، رقم (2947).

ولم يذكر اللهُ ورسولُه صلّى الله عليه وسلّم كيفيَّة هذه الدّابّة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها، وأنها مِن آياتِ اللهِ تُكلِّم النّاسَ كلاماً خارقاً لِلعادَةِ حين يَقَعُ القَولُ على النّاسِ، وحين يمترون بآيات الله فتكون حَجَّةً وبُرهاناً لِلمُؤمنين، وحُجَّةً على المعانِدِينَ » [1].

وما وَرَدَ مِن الأحادِيثِ في مَكانِ خُروجِ الدّابَّةِ وصِفَتِها في صِحَّتِها نَظَرٌ، وظاهِر القرآنِ أنها دابَّةٌ تُنْذِر النّاسَ بِقُرْبِ العَذابِ، والله أعلم.

طُلوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها:

طُلوعُ الشَّمْسِ مِن مَغرِبِها ثابِتٌ بِالكِتابِ والسُّنَّة، قال الله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: 158].

وقد دلَّت الأحاديث الصَّحيحة أنَّ المراد بِبَعض الآيات المذكورة في الآية: هو طُلوع الشَّمس مِن مغربها، وهو قول أكثَرِ المفسرين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال:« لا تقوم السّاعَة حتى تطلُع الشَّمس مِن مغربها، فإذا طَلَعَت فرآها النّاس آمَنوا أجمعون، فذاك حين لا يَنْفَع نَفْساً إيمانُها لم تَكُن آمَنْت مِن قَبْلُ أو كَسَبَت في إيمانها خيراً » متفق عليه [2].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم:« إنَّ اللهَ يَبْسُط يَدَهَ بِاللَّيلِ لِيَتوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حتى تَطْلُعَ الشَّمس مِنَ مَغرِبها » رواه مسلم [3].

وهذا الحدَثُ أمرٌ عَظِيمٌ وهَوْلٌ مُفْزِعٌ يُؤْذِن بِتَغيُّرِ نِظامِ الكَوْنِ وقُرْبِ قِيامِ السّاعَة، وفيه دَلِيلٌ على عَظِيمِ قُدرَةِ اللهِ عزَّ وَجَلّ، وأنَّ هذه الشَّمس مُدَبَّرة مخلوقَة يَعتَريها الخَلَل بإذنِ اللهِ تعالى.

وهناك علاماتٌ كثيرة غير ما ذُكِر كظُهور المهدِي، والدُّخان وغيرِهما كما جاء في الحديث

(1) ينظر: تفسير السَّعدي، سورة النمل آية: 82.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، رقم (6506)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (157).

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب: قبول التوبة مِن الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (2759).

عن حذيفة بن أسيد [1] رضي الله عنه قال: « اطّلع النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم علينا ونحن نَتَذاكَر. فقال « ما تَذاكرون ؟ » قالوا: نَذْكُر السّاعَة. قال: « إنها لن تقومَ حتى تَرَوْن قَبْلَها عَشْرَ آياتٍ » فذكَر الدُّخان، والدَّجّال، والدّابَّة، وطُلُوع الشَّمس مِن مَغربها، ونُزُول عِيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجُوج ومَأجُوج، وثلاثَة خُسُوف: خَسْف بالمشرِق، وخَسْف بالمغرِب، وخَسْف بجزِيرَةِ العَرَب، وآخِر ذلك نارٌ تخرُج مِن اليَمَنِ تَطْرُد النّاسَ إلى محشَرِهِم » وهي مُتَقارِبَةٌ جِدّاً يَعْقبها نهاية الدُّنيا ومَوْت جَمِيع الخلقِ، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: 68].

وقد سُئِل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن الصُّور فقال:« قَرْنٌ يُنْفَخ فيه » [2]، فيموت مَن في السَّموات والأرضِ إلّا مَن شاء الله. والله أعلم.

الأسئِلَة:

س1: ما الأدلَّة على قِيام السّاعة ؟ وهل يعلم أحَد متى وقت قِيامِها ؟ مع الاستِدلال على ذلك.

س2: ما الفرق بين علاماتِ السّاعة الكبرى والصّغرى ؟ ومثِّل لكلٍّ منهما.

س3: ما المراد بالصُّور ؟ وما الآثار المترتبة على النَّفْخِ فيه ؟

س4: لِمَ سُمِّيَ المسِيحُ الدَّجال بهذا الاسم ؟

س5: اذكُر بعضَ الخوارِق التي يجرِيها الله على يدي الدَّجّال، وما الأسباب الواقِيَة للمسلِم مِن فِتْنَتِه ؟

س6: ما حُكْمُ الإيمانِ بِنُزولِ عيسى عليه السّلام مِن السّماء ؟، اذكر الدَّليل على ذلك مِن القرآن والسُّنَّة.

س7: أين ينزِل المسيحِ عيسى بن مريم عليه السّلام ؟ وبم يحكُم بعد نزولِه ؟

س8: ما المراد بيأجوجَ ومأجوجَ ؟ واذكر الدَّليل على خُروجِهم.

س9: كيف يكون هلاكُ يأجوجَ ومأجوجَ ؟ اذكر الدَّليل.

س10: ما المراد بالدّابَّة ؟ مع ذكر الدَّليل على خروجِها.

س11: متى تنقَطِع التَّوبة لِلنّاسِ جميعاً ؟ اذكُر الدَّليل على ذلك.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم (2901).

(2) رواه أحمد في مسنده (162/2، و192).

البَعْثُ

البَعْثُ: هو إحياءُ الموتى حين يُنْفَخ في الصُّورِ النَّفخة الثّانِيَة، فيقوم النّاس حُفاةً عُراةً غُرْلاً.

قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء: 104].

والبَعْثُ حَقٌّ ثابتٌ دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين.

فَمِن الكِتابِ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ ﴾ [المؤمنون: 15 - 16].

ومِن السُّنَّة قول النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلَّم:« ثم يُنْزِل اللهُ مِن السَّماءِ ماءً فيَنْبُتون كما يَنْبُت البَقْل »[1]. وقد أجمعَ المسلِمونَ على ثُبوتِه.

الرَّدّ على مُنكِري البَعْثِ:

لقد أنكَر الكافِرون البعثَ بعد الموت زاعِمين أنَّ ذلك غيرُ ممكِنٍ، وهذا الزَّعم باطِل دلَّ على بُطلانِه الشَّرع والحسَّ والعَقْل:

1- دَلِيلُ الشَّرْعِ:

قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7].

وغير ذلك مِن الأدِلَّة مِن القرآن والسُّنَّة، وقد اتَّفقَت الكُتُب المنزَّلَة على إثباتِ البَعْثِ.

2- دَلِيل العَقْلِ:

فقد أرى اللهُ عِبادَه إحياء الموتى في هذه الدُّنيا، ومِن الأمِثلَة على ذلك:

أ - قِصَّة القَتيلِ الذي اختصَم فيه بنو اسرائيل فأمَرهُم اللهُ تعالى أن يَذْبحوا بَقْرَةً فَيَضْربوه بِبَعضِها لِيُخْبِرهم بمن قَتَلَه، وفي ذلك يقول اللّه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣ ﴾[البقرة: 72 - 73].

ب - قِصَّة إبراهيم الخليل عليه السلام حين سألَ اللهَ تعالى أن يُرِيَه كيف يحيي الموتى، فأمرَه اللهُ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه برقم (4651)، ومسلم في صحيحه برقم (2955).

تعالى أن يذبح أربَعَةً مِن الطَّير ويُفرِّقْهُنّ أجزاءً على الجبالِ التي حَوْلَه، ثم يُنادِيهنّ فتلْتئِم الأجزاء بعضُها إلى بعضٍ، ويأتين إلى إبراهيم سَعْياً، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: 260].

3- وأمّا دَلالَة العَقْلِ على إمكانِ البَعْثِ فمِن وُجوهٍ:

الوَجْهُ الأوَّل:

الاستِدلال بخلق السَّماوات والأرضِ على قُدْرَة الخالِقِ على البَعْثِ، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾[الإسراء: 99]، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 33]، وقال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: 57].

فتدلّ هذه الآيات على أنَّ خلقَ الإنسانِ، وإحياءَه بعد مَوْتِه أيسَر وأهوَن مِن خَلْقِ هذه المخلوقاتِ العَظِيمة مع أنَّ الكُلَّ هَيِّن عليه سبحانَه وتعالى.

الوَجْهُ الثّاني:

الاستِدلالُ على البَعْثِ بخَلْقِ الإنسانِ أوّلاً قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27].

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: 77 - 79].وقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: 15].

فالقادِر على ابْتِداء الخَلْقِ لا يَعجز عن إعادَتِه.

الوَجْه الثالث:

الاستِدلالُ بإحياءِ الأرضِ بعد موتها على بَعْثِ الأجسادِ بعد الموت، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 57].

وقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الحجرات:

.[11

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: 39].

فالذي أحيا الأرضَ الميّتة الهامِدَة بالمطَر قادِرٌ على إحياءِ الموتى.

هَيْئَةُ البَعْثِ

بعد مَعرِفَة أدِلَّة البَعْثِ نُشِير هنا إلى هَيْئَتِه، وهو أنَّه بعد النَّفخَة الأولى في الصُّور ومَوْتِ جميعِ الخلقِ يمكثون مُدَّةً قَبْلَ البَعْثِ كما جاء في الحديث المتَّفق على صِحَّتِه مِن رِوايَة أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« ما بين النَّفختَيْن أربعون » قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال: أَبَيْتُ [1] قالوا: أربعون شهراً ؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون سَنَة ؟ قال: أَبَيْتُ:« ثم يُنزِلُ اللهُ مِن السَّماءِ ماءً فَيَنبُتون كما يَنْبُت البَقل. قال: ليس مِن الإنسانِ شَيْءٌ إلا يَبْلى، إلّا عَظْماً واحِداً وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخلْقُ يَوْم القِيامَة » [2].

فإذا نَبَت عَجْبُ الذَّنَبِ وعادَت الأجسام كما كانَت نُفِخَ في الصُّورِ النَّفخَة الثّانِيَة فعادَت كلّ رُوحٍ إلى جَسَدِها فتَعود الحياة مَرَّةً ثانِيَة كما كانت أوَّل مَرَّة قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 104].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: 6]، والآياتُ في هذا كثيرَة جِدّاً.

---

(1) قال: « أبيت » أي: أبيت الجزم إلّا بِأَرْبَعِين فقط مِن غَيْرِ تمييز.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة عم، باب: يوم ينفخ في الصّور. ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، رقم (2955). وعَجْبُ الذَّنَب: هو العَظْمُ اللَّطِيفُ الذي في أَسْفَلِ الصُّلْبِ، وهو رَأْسُ العُصْعُص.

الحَشْرُ

وبعد قِيامِ النّاسِ مِن قُبورِهم يُساق الخلْقُ إلى أَرْضِ المحشَر، قال تعالى:﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ [ق: 44].

وقال: ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 47].

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم:« يحشَرُ النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً » [1].

في الآياتِ والحديث دَلالَة على أنَّ الحشْرَ مِن حَقائِقِ الآخِرَة، وهو جَمْعُهُم إلى أَرْضِ المحشَرِ مِن أماكِن بَعْثِهِم على صِفاتٍ مختَلِفَة.

حالَة النّاس في الحَشْرِ:

هناك يَقِفُ الخلقُ وُقوفاً طَوِيلاً انتِظاراً لِفَصْلِ القَضاءِ، وهم على أحوالٍ مختَلِفَةٍ تحكي حالهم في الحياةِ الدُّنيا، فتَظْهَر أعمالُ النّاسِ فلا تخفَى عى أَحَدٍ مع ما في الموقِف مِن الرَّهْبَةِ والشِّدَّة فَيطلبون مَن يَشْفَع لهم إلى رَبِّهم لِيَقْضِيَ بينَهم، فيذهبُون إلى أبيهِم آدم عليه السلام فيأمرهُم بِالذَّهاب إلى نوح عليه السلام، ونوح يَأمُرهم بِالذَّهابِ إلى إبراهيم عليه السلام، ويأمُرهم إبراهِيم بِالذَّهاب إلى موسى عليه السلام، وكلُّهم يَعتَذِرون بأنَّ اللهَ غَضبَ اليَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَب قَبْلَه مِثْلَه ولَن يَغضبَ بعدَه مِثْلَه. ويأمُرهم موسى عليه السلام بالذَّهاب إلى عِيسى عليه السلام، ويعتَذِر بِأنَّ اللهَ تعالى غَضبَ اليَوْمَ غَضباً لم يَغْضب قَبْلَه مِثلَه ولن يَغْضبَ بَعْدَه مِثْلَه، ويأمُرهم بِالذَّهاب إلى محمَّد صلّى الله عليه وسلّم، ثم يأذَن اللهُ تعالى بِالقَضاءِ بين الخلائِقِ [2]. واللهُ سَرِيع الحسابِ.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (2859). ومعنى غُرْلاً، أيْ: غير مختُونِينَ.

(2) يُراجَع حديث الشَّفاعَة الطَّويل في كتب السُّنَّة كصحيح البخارِي، في كتاب التفسير، تفسير الإسراء، باب:" ذرِّيَّةَ مَن حَمَلْنا مَع نُوحٍ "، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (194).

الحِسابُ

المراد بهذا أنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى يُظْهِر الإنسانَ على أعمالِه في الحياة الدُّنيا ويُقَرِّرُه بِذلك. كما يقتصُّ لِبَعْضِ الخلقِ مِن بَعْضٍ، ويقضِي بينَهم، وذلك على اللهِ يَسِيرٌ.

والأدلَّة على هذا في القرآن والسُّنَّة كثيرة جدّاً، مثل:

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: 6]،وقوله: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الكهف: 48]، وقوله:﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: 17]، وقوله:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: 25 - 26].

واللهُ سبحانَه وتعالى هو الذي يتولى حِسابَ الخلق بِنفْسِه؛ لِما روى البخاري ومسلم عن عَديّ بن حاتم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« ما مِنكُم مِن أَحَدٍ إلّا سَيُكَلِّمُه اللهُ ليس بينَه وبينَه تُرجمان، فينظر أَيْمَن مِنه فلا يَرى إلّا ما قَدَّم، وينظُر أشْأَم منه فلا يَرى إلّا ما قَدَّم، ويَنْظُر بين يَدَيْه فلا يَرى إلّا النّارَ تِلْقاءَ وَجْهِه، فاتَّقوا النّارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ »[1].

فيُؤتى بالكُتُب التي دَوَّنَتْها الحفَظَة على ابنِ آدم ليقرأ ما كُتِبَ بها، ولِيَقِفَ كلُّ إنسانٍ على عَمَلِهِ كما أخبَر تبارك وتعالى عن هذا بقوله: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 49].

وقال: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء: 13 - 14].

ويَعرِفُ كلّ إنسانٍ حالَهُ كما يعلَمُ النّاسُ ذلك عند تَوزِيع الكُتُبِ، فمَن أُوتي كِتابَه بِاليَمِين فهو مِن المفلحين، وحِسابُه سَهْلٌ مُيَسَّرٌ، ومَن أُوتيَ كِتابُه بِشِماله مِن وراءِ ظَهْرِهِ فحسابُه عَسِيرٌ، ومَن نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ؛ لِما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« ليس أَحَدٌ يحاسَب إلّا هَلَك » قالت: قلت يا

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عُذِّب، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصَّدقة ولو بِشِقِّ تمرة، رقم (1016) بهذا اللَّفظ.

رسول الله، جعلني اللهُ فِداكَ، أليس يقول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ ﴾ [الانشقاق: 7 – 8]، قال:« ذاك العَرْضُ يُعْرَضون، ومَن نُوقِشَ الحسابَ هَلَك » (1).

فمِن فَضْلِ اللهِ تعالى ولُطْفِه بالمؤمنين أنَّه لا يُناقِشُهُم الحسابَ على أعمالهم، وإنما يَعْرِضُها عليهِم ويُقَرِّرُهم بها، وهي ممّا سَتَرَه عليهِم في الدُّنيا، وكذلك لا يَطَّلِعُ عليها أَحَدٌ في هذا الموقِفِ ويقول لهؤلاء: إنِّي قد سَتَرْتُ ذلك في الدُّنيا وأنا أغْفِرها اليَوم، بخلافِ الكفّار فيُنادَى بهم على رُؤوسِ الأشْهاد؛ لِما جاء عن ابن عمر أنَّه سُئِل: كيف سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول في النَّجوى ؟ قال: سمعته يقول:« يُدْنَى المؤمِنُ يَوْمَ القِيامَة مِن رَبِّه عزَّ وجلَّ حتى يَضَع عليه كَنَفَهُ (2) فيُقَرِّره بِذُنوبِه، فيقول: هل تعرف ؟ فيقول: أي رَبّ أعرِف. قال: فإني قد سَتَرْتُها عليك في الدُّنيا وإني أغْفِرها لك اليَوْمَ، فيُعْطى صَحِيفَة حَسَناتِهِ.

وأمّا الكفّار والمنافقون فيُنادَى بهم على رُؤوسِ الخلائِق: هؤلاء الذين كَذَبوا على الله »(3).

وقد أحصَى تبارك وتعالى على الخلق جميعَ أعمالهم خيراً أو شرّاً كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞ ﴾ [الزلزلة: 7 – 8].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6].

فسَيرى كلُّ عامِلٍ عَمَلَه، ولا مجالَ للإنكارِ؛ لأنَّ الأرضَ تخبِر بما عُمِلَ عليها، وتَنْطِق الجوارحِ بما كَسَبَت.

قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ ﴾ [الزلزلة: 1 – 4]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: 65].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الانشقاق، باب:" فسوف يحاسب حساباً يسيراً "، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إثبات الحساب، رقم (2876).

(2) كَنَفَه: هو سِتْرُه.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسر سورة هود، باب:« ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم»، ومسلم، كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم (2768)، بهذا اللَّفظ.

فالموقِف شَدِيدٌ، والكَيِّس مَن دانَ نفْسَه وعَمِل لِما بعد الموت، والعاجِزُ مَن أَتْبَع نفسَه هَواها وتمنَّى على اللهِ الأماني.

الأسئِلَة:

س1: ما المراد بالبَعث ؟، وما حكم الإيمان به ؟، مع ذِكر الدَّليل.

س2: ما موقف المشركين مِن عقيدة البَعْث ؟

س3: بَيِّن الرَّدَّ الشَّرْعِيَّ، والحِسِّيَّ، والعقْلِيَّ، على مُنكِري البَعْثِ، مع وَجْهِ الاستِدلالِ مِن خِلالِ النُّصوص التّالية:

أ- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة: 72، 73].

ب- قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7].

ج- قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: 99].

د- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 260].

هـ- قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: 57].

و- قال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: 15].

ز- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: 39].

س4: ما هَيْئَة البَعْثِ ؟، اذكر الدَّليلَ على ذلك.

س5: ما المراد بالحشْر ؟، وما حالَة النّاسِ فيه ؟، مع الاستِدْلالِ على ذلك.

س6: ما المراد بالحسابِ ؟، وكيف تَتمُّ محاسَبَة المؤمنين والكُفّار ؟، مع الاستِدلالِ على ذلك.

الحَوْضُ

الحوض: مَوْرِدٌ عَظِيمٌ تَرِدُهُ أُمَّةُ محمَّد صلّى الله عليه وسلّم يومَ القِيامَة إلّا مَن خالَف هَدْيَه وبَدَّلَ بَعْدَهْ. جاء في الصَّحيحين وغيرهما أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال وهو بين ظَهراني أصحابه:« إني على الحوض أنْتَظِر مَن يَرِدُ عَلَيَّ مِنكم، فواللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دوني رِجالٌ، فلأقولَنَّ: أيْ رَبِّ، مِنِّي ومِن أُمَّتي، فيقول: إنَّك لا تَدْرِي ما عَمِلوا بَعْدَك، ما زالوا يَرْجِعون على أعقابهم »[1] في هذا الحديث إثباتُ الحوضِ، وأنَّ الابْتِداعَ ومخالَفَة الأوامِر مانِعان مِن وُرُودِهِ.

وقد تَواتَرت الأحاديث في خَبَرِ الحوضِ.

عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت جُندباً رضي الله عنه يقول: سمعت النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقول:« أنا فَرَطُكُم [2] على الحَوْضِ » [3].

صِفات الحوضِ: وردَ في الأحاديث الصَّحيحة في صِفة الحوضِ أنَّه في غايَةِ العِظَمِ والاتِّساع، عَرْضُه وطُولُه سَواء، كلُّ زاوِيَة مِن زَواياه مَسِيرَة شَهْرٍ، ويُمَدُّ مِن نهر الكَوْثَر، يَشْخَب فيه مِيزابان مِن الجنة، ماؤُه أشَدُّ بَياضاً مِن اللَّبَن، وأبْرَد مِن الثَّلْجِ، وأحلَى مِن العَسَل، وأَطْيَبُ ريحاً مِن المسْكِ، وكيزانُه [4] عَدَد نجومِ السَّماء، مَن شَرِبَ منه لم يَظْمأ أبَداً، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم في صِفَة الحوض:« حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، ماؤُه أَبْيَضُ مِن اللَّبَنِ، وريحُه أطْيَب مِن المسْكِ، وكِيزانُه كَنُجومِ السَّماءِ، مَن شَرِبَ منها فَلا يظْمَأُ أبداً ».

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: في الحوض، ومسلم، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم وصفاته، رقم (1294).

(2) الفَرَط: هو الذي يتَقَدَّم الوارِدِين لِيُصْلِح لهم الحِياضَ والدِّلاءَ، ونحوَها..

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: الحوض، ومسلم، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّ، رقم (2290).

(4) جمع كُوز، وهو إناءٌ بِعُرْوَةٍ يُشرَب به الماء.

المِيزانُ

الميزان: الآلَة التي تُعْرَف بها مَقادِير الأشياء.

والمراد بِالميزان هنا: مِيزانٌ حَقِيقِيٌّ له كِفَّتان حِسِّيَّتان، يوضَع لِوَزْنِ أعمالِ العِبادِ يَوْمَ القِيامَة. وفيه إظهارُ العَدْلِ الرَّبّانيِّ (1) فلا تُظْلَم نَفْسٌ شيئاً، فيُحْضِر تَبارَك وتعالى أعمالَ الإنسانِ وإن كان مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ لإظهارِ مَقادِيرِها، ليكون الجزاء بحسَبِها. وقد تكون مَوازِين الأعمالِ مُتَعَدِّدَة، وقد يكون الميزانُ واحِداً، والله قادِر على كلِّ شيء. والأدلَّة على ثبوت الميزان ووزن الأعمال كثيرة، منها:

أ- قول اللّه تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: 47].

ب- قول الله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: 102 - 103].

ج- قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: 6 - 11].

د- قال صلّى الله عليه وسلّم:« كَلِمَتان حَبِيبَتان إلى الرحمنِ، خَفِيفَتان على اللِّسان، ثَقِيلَتان في الميزان: سبحان اللهِ وبحَمْدِهِ، سبحانَ اللهِ العَظِيم » (2).

في الأدلَّة السّابقة ما يدلُّ على إثباتِ الموازِين، وإثبات وَزْنِ الأعمالِ وتَرتِيب الفَلاح على ثِقَلِها، والخسارَة على خِفَّتِها. ثم إنَّ الأعمالَ التي تُوزَن يوم القِيامَة - وهي أعراضٌ لا تَقْبَل الوَزْنَ في الحياةِ الدُّنيا - تكون في ذلك الوَقْتِ قابِلَة لِذلك؛ لأنَّ مَعايِير تلك الحياة ليست هي كما في حَياتِنا الآن. والأعمالُ التي تُوزَن تَتفاوت ثِقَلاً وخِفَّةً بحسَب نَوْعِ العَمَلِ وعِظَمِهِ وما يُصاحِبُه مِن إخلاصٍ ومُتابَعَةٍ وإحسان.

---

(1) لَمّا كان الإنسانُ مُتَّصِفاً بِالجحود والجهل كان الوَزْنُ إقامَةً لِلحُجَّةِ عليه، وإلّا فإنَّ اللهَ بِكلِّ شَيْءٍ عَلِيم.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى:" وَنَضَعُ الموَازِيْنَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَة "، وهو آخر حديث في الصحيح، رقم (7563).

فاعتِبارات الوزن ليست لذاتِ العمَل وإنما لِمَا يَصْحَبُه؛ لأنَّ كثيراً مِن الخلق يأتون بكلمة الشَّهادة ومع ذلك تَغلب سَيِّئاتهم حسناتهم مع كون الشَّهادة تَرْجح بِالسَّيِّئات العَظِيمَة كما في حديثِ البِطاقَة.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« إنَّ اللهِ سُيخَلِّصُ رَجُلاً مِن أُمَّتي على رُؤوسِ الخلائِق يوم القيامة، فينشر عليه تِسعَةً وتِسعِين سِجِلّاً، كلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البَصَر، ثم يقول له: أَتُنْكِر مِن هذا شيئاً، أظَلَمَتْكَ كَتَبَتي الحافِظون ؟ قال: لا، يا رَبِّ، فيقول: ألكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ ؟ فَيَبْهَت الرَّجُلُ، فيقول: لا يا ربّ، فيقول: بلى، إنَّ لك عِندنا حَسَنَةً واحِدةً، لا ظُلْمَ اليومَ عليك، فتُخْرَج له بِطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمّداً عبده ورسولُه، فيقول: يا رَبّ، وما هذه البِطاقَة مع هذه السِّجِلّات؟ فيقال: إنَّك لا تُظْلَم، قال: فَتُوضَع السِّجِلّات في كِفَّة، والبِطاقَة في كِفَّة، قال: فَطاشَت السِّجِلّات، وثَقُلَت البِطاقة، فلا يَثْقُل مع اسمِ اللهِ شَيْءٌ » [1].

(1) رواه أحمد في مسنده (213/2)، والترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلّا الله، رقم (2639)، وقال:" هذا حديثٌ حسَن غريب ".

الصِّراطُ

الصِّراط: هو الطَّرِيقُ.

والمراد هنا: الجِسْرُ المنصوبُ على ظَهْرِ جهنَّم طِرِيقاً إلى الجنَّة. والمرورُ على الصِّراطِ عامٌّ للمُؤمنين ومَن ادَّعى الإيمان كالمنافِقين، ولا يمكن الوُصولُ إلى الجنة إلّا بعد تجاوُزِه.

وقد دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: 71 - 72].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال:« ويُضْرَب الصِّراطُ بين ظَهْرَي جَهَنَّم فأكون أنا وأُمَّتِي أَوّل مَن يجيزُها » [1].

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذكر حَدِيثَ الشَّفاعَة، وفيه:« فيأتون محمَّداً فيقوم فيُؤْذَن له، وتُرسَلُ الأمانَة والرَّحِم، فتقومان جنبتي الصِّراط، يميناً وشمالاً، فيَمُرُّ أَوَّلكم كالبَرق »، قال: قلت: بأبي أنت وأمّي ! أي شيءٍ كَمرِّ البَرْقِ ؟ قال: « ألم تروا إلى البَرْقِ كيف يمر ويَرْجع في طَرْفَة عَيْنٍ ؟ ثم كمَرِّ الرِّيح، ثم كمَرِّ الطَّيْرِ وشَدِّ الرِّجالِ [2] وتجري بهم أعمالهم، ونَبِيُّكُم قائِمٌ على الصِّراط يقول: ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حتى تعجز أعمال العِباد. حتى يجيءَ الرَّجُل فلا يستَطِيع السَّيْرَ إلّا زَحْفاً قال: وفي حافَتي الصِّراطِ كَلالِيب مُعَلَّقَة مَأمُورَةٌ بِأَخْذِ مَن أُمِرَت بِه، فمَخْدُوشٌ ناجٍ ومُكْدوسٌ في النّار » [3].

وفي الأحاديث دلالة على ثبوتِ الصِّراطِ، وصِفَته، وهَوْلِ الموقِف، وأنَّ الأعمالَ هي وَسِيلَة العُبورُ وسَبَبُ النَّجاة، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: 72]، أي: أنَّ الله تعالى يُنْجِيهم بعد الوُرُودِ، ويَذَر الظّالمين فيها جُثِيّاً، فلا يَتَجاوَزونَها.

ومَن حادَ عن الصِّراط المستقيم في الدُّنيا وقت الرَّخاء، فلَن يَصْمُدَ على الطَّرِيقِ المزلّة وَقْتَ الشِّدَّةِ، وقد افْتَقَد وَسِيلَتَه، وهي العَمَل الصّالح.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم (182).

(2) الشَّدّ هو العَدْوُ البالغ.

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنَّة مَنزِلَةً فيها، رقم (195).

الأسئِلَة:

س1: ما الحوض ؟، وما الأدلَّة على ثبوته ؟

س2: اذكر صِفات الحوضِ.

س3: عرِّف الميزان، وهل هو حقيقي ؟ مع الدَّلِيل على ذلك.

س4: ما المراد بالصِّراط ؟ وهل هناك أحَدٌ يدخل الجنَّة دون أن يمرَّ عليه ؟، أُذكُر الدَّلِيلَ على ما تقول.

س5: أُذكر بعض الأدِلَّة على ثُبوتِ الصِّراطِ وصِفَتِه.

الشَّفاعَةُ

الشَّفْعُ: ضَمُّ الشَّيْءِ إلى مِثْلِهِ.

والشَّفاعَة لُغَةً: الوَسِيلَة والطَّلَب.

والمراد بها: التَّوسُّطُ لِلغَيْرِ بجلْبِ مَنْفَعَةٍ ودَفْعِ مَضَرَّةٍ.

وأكثر ما يُسْتَعمَل هذا المعنى في انضِمامِ مَن هو أعلى حُرْمَةً ومَرْتَبَةً إلى مَن هو أدنى.
والشَّفاعَة يوم القِيامَة عند اللهِ سبحانَه وتعالى لا بُدَّ فيها مِن شَرْطَيْنِ.

الشَّرْطُ الأوَّل:

إِذْنُ اللهِ تعالى لِلشافِعِ أن يَشْفَع لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: 255]، وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: 23]، وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: 26].

ويقول سَيِّد الشُّفَعاءِ في حَدِيث الشَّفاعَة الطَّوِيل:« فأَسْتَأْذِن على رَبِّي فَيُؤْذَن لي، ويلهِمُني محامِدَ أحمَدُه بها لا تحضُرني الآن، فأحمَدُه بتِلِك المحامِد وأخِرُّ له ساجِداً، فيُقال: يا محمَّد، ارفع رأسَك، وقُلْ يُسْمَع لك، وسَلْ تعُطْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ » (1).

الشَّرط الثّاني:

رِضا اللهِ عن المشفُوع له، والدَّليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: 28].

وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: 48].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَه، وإنِّي احتبَأْت دَعْوَتي شَفاعَةً لأمَّتي يَوْمَ القِيامَة، فهي نائِلَةٌ إن شاءَ الله مَن مات مِن أُمَّتي لا يُشْرِك بِاللهِ شَيئاً » (2).

وأدِلَّة هذين الشَّرطين كثيرة، تُبَيِّنُ أنَّ الشَّفاعَةَ عند اللهِ تعالى يوم القيامَة لا تكون إلّا لِمَن

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب:" ذُرِيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ "، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنّة مَنْزِلَة، رقم (193).

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: اختِباء النَّبِيِّ دَعْوَةَ الشَّفاعَة لأُمَّتِه. رقم (199).

أذَنِ له بِالشَّفاعَة، ولا يأذَن إلّا لِلمُؤمنين المتَّقِين الأخيار، ولا يشفَعون إلّا لِمَن رَضِيَ اللهُ عنه مِن أهلِ تَوحِيدِه.

وأنها نائِلَة مَن قال لا إله إلّا الله ولو بَعْدَ دُخولِ النّارِ بإخراجِه منها، كما تَنْتَفِي عن أهل الشِّرْكِ، وهي مُلْكٌ للهِ وحدَه كما قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 44]، فلا يجوز طَلَبُها مِن أحَدٍ سِواه.

أَنْواعُ الشَّفاعَةِ

الشَّفاعَةُ نَوعانِ:

الأولى: خاصَّة بِالنَّبِيِّ ﷺ.

الثّانِيَة: عامَّةٌ له ولِغَيْرِه.

الأولى: الشَّفاعَةُ الخاصَّة بِالنَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم:

وهي أنواعٌ، مِنها:

أ- الشَّفاعَة العُظْمى، وهي خاصَّةٌ بِنَبِيِّنا محمَّد صلّى الله عليه وسلّم، وهي المقامُ المحمودُ الذي وَعَدَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: 79]، وذلك حين يشتَدّ على النّاسِ الموقِف ويَلْتَمِسون الشَّفاعَةَ في أن يُفْصَل بينَهم، فيأتون آدَم، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ابن مريم عليهم السّلام، وكلُّهم يقول نَفْسِي نَفْسِي إلى أن يَنْتَهوا إلى نَبِيِّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم فيقول:« أنا لها » [1].

ب- الشَّفاعَة في دُخولِ أهلِ الجنَّةِ الجنَّةَ، ودَلِيلُها عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« أنا أوَّلُ النّاسِ يَشْفَع في الجنَّة، وأنا أكثَر الأنبِياء تَبَعاً » [2].

ج- شَفاعَة الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلَّم في تخفِيفِ العَذابِ عن عَمّه أبي طالب. عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ذُكِرَ عندَه عَمّه أبو طالب.. فقال:« لَعَلَه تَنْفَعُه شَفاعَتِي يوم القِيامَة فيُجْعَل في ضَحْضاحٍ مِن نارٍ يَغْلِي منه دِماغُه " [3]، ولا تَنْفَعُه الشَّفاعَة في الخروج مِن النّارِ لِكَوْنِه ماتَ غير مُوَحِّدٍ بخلافِ أهل التَّوحِيدِ. والله أعلم.

---

(1) انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب: ذرية من حملنا مع نوح، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. رقم (193).

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: في قول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:« أنا أوَّل النّاسِ يشفَع في الجنَّة ». رقم (196).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: صِفة الجنّة والنّار، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: شَفاعَته صلّى الله عليه وسلّم لأبي طالب، رقم (210)، وهذا لفظ مُسلِم.

الثّانِيَة – الشَّفاعَة العامَّة:

له صلَّى الله عليه وسلَّم ولغيرِه مِن الأنبِياء والملائِكَة والصّالحين، ومنها:

د- الشَّفاعَة في أهلِ الكَبائِرِ مِن الموحِّدِين ممَّن أدخلوا النّارَ لِيَخرجُوا منها. كما جاء ذلك صَرِيحاً في الأحاديث الكثيرة التي بَلَغَت حدَّ التَّواتُرِ، وهي عامّة، وتَتَكَرَّر مِن الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم مَرّات، كما يَشْفَع أيضاً غيره مِن الأنبِياء والملائِكَة والصّالحين، وهذِهِ الشَّفاعَة أنكَرها المعتَزِلَةُ والخوارِجُ بِناءً على مَذْهِبِهِم الباطِل في أنَّ فاعِلَ الكَبِيرَة مخلَّدٌ في النّارِ فلا تَنْفَعْهُ الشَّفاعَة.

هـ- الشَّفاعَة في رَفْعِ دَرَجاتِ أقوامٍ مِن أهلِ الجنَّة فَوْقَ ما تَقْتَضِيه أحوالهم.

و- الشَّفاعَة في أقوامٍ أن يدخُلوا الجنَّة بغيرِ حِسابٍ، ومِن أدِلَّة هذا النَّوع: قول الرَّسول صلَّى الله عليه وسلّم لِعُكّاشَة بن محصن ﷺ لَمّا طَلَبَ منه أن يَدْعَو اللهَ أن يجعَلَه مِن السَّبعين ألفاً الذين يدخُلون الجنَّة بِلا حِسابٍ قال:« اللَّهمّ اجْعَلْه مِنهُم » [1].

ز- الشَّفاعَة في أقوامٍ قد أُمِر بهم إلى النّارِ أن لا يدخُلوها.

الأسئِلَة:

س1: ما الشَّفاعَة ؟ وما شُروطها ؟ وما المانِع منها ؟

س2: هل تُطْلَب الشَّفاعَة مِن غيرِ الله ؟ ولماذا ؟ مع ذِكْرِ الدَّلِيلِ على ما تقول.

س3: ما أنواع الشَّفاعَة ؟ وما الخاصُّ منها بمحمَّد صلّى الله عليه وسلّم ؟

---

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم: كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف مِن المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (216).

الجَنَّةُ والنّارُ

الجنَّة: هي الدّار التي أعدَّها اللهُ في الآخِرَة للمتَّقين.

والنّار: هي الدّار التي أعدَّها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن، لقوله تعالى في الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]، وفي النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: 131].

والإعداد: التَّهيِئَة، ولقولِه صلّى الله عليه وسلّم حين صلَّى صلاة الكسوف:« إني رأيت الجنَّة فتناولت منها عُنقوداً ولو أخَذْته لأكلتُم منه ما بَقِيت الدُّنيا، ورأيت النّارَ فلم أرَ كاليوم مَنظراً قطّ أفظَع » (1).

والجنّة والنّار لا تَفْنَيان لقوله تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [البينة: 8].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: 64 - 65].

مَكانُ الجنَّة و النّارِ:

الجنَّة في أعلى عِلِّيِّين لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: 18]، وقوله صلّى الله عليه وسلّم في حديث البراء ابن عازب المشهور في قصَّة فتنة القبر:« فيقول الله عزَّ وجلَّ اكتبوا كتابَ عَبْدي في عِلِيِّين وأعيدوه إلى الأرضِ » (2).

والنّار في أسفَلِ سافِلين لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: 7]، وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق:« فيقول اللهُ تعالى اكتُبوا كتابَ عبدِي في سِجِّين في الأرض السُّفلى ».

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب: ما عرض على النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم في صلاة الكسوف مِن أَمْرِ الجنَّة والنّار، رقم (907).

(2) رواه أحمد في المسند (287/4)، والحاكم في المستدرك (37/1) وصحَّحه.

أَهْلُ الجَنَّةِ وأَهْلُ النّارِ:

أَهْلُ الجنَّةِ كلُّ مُؤمِنٍ تَقِيٍّ؛ لأنهم أولياءُ اللهِ، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، وقال تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: 21]، وأهل النّار كلُّ كافرٍ شَقِيٍّ، قال الله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 131]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾ [هود: 106].

رؤيةُ اللهِ في الآخِرَة

رُؤْيَة اللهِ في الآخِرَة ثابِتَةٌ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلَف.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ [القيامة: 22 - 23]، وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: 15]، فلَمّا حُجِبَ الفُجّارِ عن رُؤْيَتِه دَلَّ على أنَّ الأبرارَ يَرَوْنَه وإلّا لم يكُن بينَهم فَرْقٌ.

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّكم ستَرون ربَّكُم كما ترون القَمَر لا تُضامُّون في رُؤْيَتِه» [1].

وهذا التَّشبِيهِ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْية لا لِلمَرئِيِّ بالمرئِيِّ؛ لأنّ اللهَ ليس له شَبِيهٌ ولا نَظِيرٌ.

وأجمع السَّلف على رُؤية المؤمنين لله تعالى في عَرصات القِيامة، وبعد دخول الجنَّة كما يشاء الله تعالى [2].

أما رؤيَة اللهِ في الدُّنيا فَمُسْتَحِيلَة؛ لقوله تعالى لموسى عليه السلام وقد طَلَب رُؤْيَة الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: 143].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (138/1)، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (633).

(2) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثمين (ص 49-50).

الشَّهادة بالجِنّة أو النّار

الشَّهادة بالجنّة أو النّار ليس لِلعَقْل فيها مَدخَلٌ فهِي مَوقوفة على الشَّرع، فمَن شَهِدَ له الله أو رسولُه صلّى الله عليه وسلّم بذلك شَهِدْنا له، ومَن لا فلا؛ لكنَّنا نرجُو لِلْمُحْسِن ونخاف على المسِيءِ.

وتنقَسِم الشَّهادَةُ بالجنَّة أو بالنَّار إلى قسمَين: عامَّة، وخاصَّة.

فالعامَّة: هي المتعَلِّقَة بِالوَصْفِ. مثل: أن نشهَد لِكلِّ مُؤْمِنٍ بأنَّه في الجنَّة، أو لكلِّ كافِرٍ بأنّه في النّار أو نحو ذلك مِن الأوصاف التي جعَلَها الشَّرعُ سَبباً لِدخُولِ الجنَّة أو النّار.

والخاصَّة: هي المعَلَّقَة بِشَخْصٍ مثل: أن نشهَد لِشَخْصٍ مُعَيَّن بأنَّه في الجنَّة أو لِشَخْصٍ مُعَيَّن بأنّه في النّار فَلا يعيَّن إلّا مِن عَيَّنه اللهُ أو رَسُولُه صلّى الله عليه وسلّم.

المَعَيَّنون مِن أهلِ الجَنَّة:

المعيَّنون مِن أهلِ الجنَّة كثِيرون، منهم: العَشَرة المبشَّرون بالجنّة، وهم: أبو بكر الصديق ﷺ، وعمر بن الخطاب ﷺ، وعثمان بن عفان ﷺ، وعلي بن أبي طالب ﷺ، وطلحة بن عبيد الله ﷺ، والزبير ابن العوام ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، وسعد بن أبي وقاص ﷺ، وسعيد بن زيد ﷺ، وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ، ومنهم الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومنهم ثابت بن قيس ﷺ.

المُعَيَّنون مِن أهلِ النّار:

مِن المعينين أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب عمّ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب ابن أمية، ومنهم أبو طالب عمّ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وقد مَرَّ الحديث في كونِه مِن أهلِ النّارِ، وأنّه أهونهم عذاباً، ومنهم عمرو بن عامر بن لُحَيٍّ الخزاعي وغيرهم [1].

(1) انظر: شرح لمعة الاعتقاد (ص 95-99).

الأسئِلَة:

س1: ما المقصود بالجنّة والنّار ؟ وهل هما مخلوقتان ؟ مع الدَّليل على ذلك.

س2: أين مكان الجنّة والنّار ؟ وهل تفنَيان ؟ مع الاستدلالِ لِما تقول.

س3: مَن هم أصحاب الجنَّة، وأصحاب النّار ؟

س4: هل يُرى الله في الدُّنيا والآخرة ؟ مع ذِكْر الدَّليل لما تقول.

س5: هل يرى الكفار ربهم ؟ مع الاستِدلال.

س6: أكمِل العبارة الآتية:

الشَّهادة بالجنَّة أو النّار ليس......... فهي موقوفَة على........... فمَن شَهِدَ له الله ورسولُه صلَّى الله عليه وسلَّم بذلك شَهِدْنا له، ومَن لا فلا، ولكنّا نرجو...........

س7: ما أقسام الشَّهادة بالجنّة أو النّار ؟ مع شرح كلّ منها.

س8: مَثِل على أناسٍ شَهِدَ لهم الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم بالجنّة.

س9: مَثِل على أُناسٍ مُعَيَّنِين مِن أهل النّار.

الرُّكن السّادِس: الإيمانُ بِالقَدَرِ

تَعْرِيفُه:

القَدَر: تَقْدِير اللهِ تعالى لِلمَخلوقات حسب ما سَبق بِه عِلْمُه واقتَضَت حِكْمَتُه.

والإيمان بالقَدر هو الركن السّادس مِن أركان الإيمان كما في جواب الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال:« أن تؤمِن باللّه وملائكتِه وكتُبِه ورُسلِه واليومِ الآخِر، وتؤمِنَ بِالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّه » (1).

والمراد بالإيمان بالقدر: التَّصديق الجازِم بأنَّ كلَّ ما يقَع مِن الخير والشَّرِّ فهو بِقَضاء اللهِ وقَدَرِه كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ﴾ [الحديد: 22 -23].

وفي قول الله تعالى دَلالة على أنَّ جميع ما يجرِي في الآفاقِ وفي الأنفس مِن خير أو شَرٍّ فهو مُقَدَّر مِن اللهِ تعالى ومكتوب قَبْلَ خَلْقِ الخلِيقَة، فما فات مِن المحبوب لا يُوجِب الحزنَ، وما حَصَل منه لا يُوجِب الفَرَح.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:« لو أنَّ اللهَ عذَّب أَهْلَ سمواتِه وأهل أرضِه لَعَذَّبهم غير ظالمٍ لهم، ولو رَحِمَهم كانت رحمَتُه لهم خيراً مِن أعمالهم، ولو كان لك جَبَلُ أُحُدٍ أو مِثْل جَبَل أُحُدٍ ذَهَباً أَنْفَقْتَه في سبيلِ اللهِ ما قَبِلَه منك حتى تؤمِن بِالقَدَرِ، وتعلم أنَّ ما أصابَك لم يكن لِيُخْطِئَك، وأنَّ ما أخطَأَك لم يكُن لِيُصِيبَك، وأنَّك إن مِتّ على غيرِ هذا دَخَلْت النّارَ » (2).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« المؤمِن القَوِيّ خيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ مِن المؤمِن الضَّعِيف، وفي كُلٍّ خيرٌ، احرِص على ما ينفَعُك واستَعِن باللهِ ولا تَعْجَز، وإن أصابَك شَيْءٌ فلا تَقُل لو أني فعَلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل قَدَرُ اللهِ وما شاءَ فَعَل،

(1) رواه مسلم في صحيحه (37/1)، وانظر: صحيح البخاري (19/1)، وقد تقدَّم تخريجه.

(2) رواه أحمد في مسنده (185/5)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في القدر، رقم (4699)، واللَّفظ لأحمد.

فإنَّ لو تَفْتَح عَمَلَ الشَّيطانِ »[1].

وكلُّ ما قدَّر اللهُ تعالى فهو لحكمَة يعلَمُها، ولا يخلق اللهُ تعالى شَرّاً محضاً لا يَتَرَتَّب عليه مَصْلَحَةٌ، فالشَّرُّ ليس إليه مِن حيث هو شَرّ، وإنما هو داخِلٌ في عُمومِ خَلْقِه كُلّ شَيْءٍ، وهو بالنِّسبَة للهِ عَدْلٌ وحِكْمَة ورَحمة، ولا يدخُل في شَيْءٍ مِن صِفاتِه ولا أفعالِه، فله الكَمالُ المطلَق، يَدُلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ [النساء: 79]، أي: أنَّ ما يُصِيب الإنسانَ مِن الخيرِ والإنعام فهو مِن الله تعالى، وما يُصِيبُه مِن الشَّرِّ فبِذنوبِه ومَعاصِيه، ولا محيدَ لأحَدٍ عن القَدَرِ المقدورِ، واللهُ تعالى خالِق العِبادِ ولا يجري في مُلكِه إلّا ما يريد، ولا يرضى لِعِبادِهِ الكُفْر، وقد وَهَبَهم القُدْرَةَ والاختِيار، فأفعالهم واقِعَة بِقُدْرَتهم وإرادَتهم، يهدِي مَن يَشاء بِرَحْمَتِه، ويُضِلُّ مَن يَشاء بحكمَتِه، لا يُسأَل عمّا يَفْعَل وهُم يُسأَلون.

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم (2664).

مَراتِبُ الإيمانِ بِالقَدَرِ

الإيمان بِالقَدَرِ على أَرْبَعِ مَراتِب، هي:

المَرتَبَة الأولى: العِلْمُ:

الإيمانُ بِعِلْمِ الله، فهو سبحانَه عالمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وهو بِكُلِّ شَيْءٍ محيطٌ، فلا يَعْزُب عنه مِثقال ذرَّة في السّموات ولا في الأرض، فيَعْلَم جميعَ خَلْقِه قبل خَلْقِهِم، ويعلَم ما تكون عليه أحوالهم كلّها سِرّها وعَلانِيَتُها. والأدلَّة على هذا كثيرة، منها:

أ- قول تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق: 12].

ب- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ ﴾ [الحشر: 22].

ج- قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: 3].

د- قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: 59].

هـ- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئِل رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم عن أطفالِ المشركين ؟ قال: « اللهُ أعلَم بما كانوا عامِلين إذ خَلَقَهُم » [1].

ودلالَةُ الأدِلَّةِ السّابِقَة على عِلْمِ اللهِ وإحاطَتِه بِكلِّ شَيْءٍ شاهِدٍ وغائِبٍ، ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون واضِحَةٌ جَلِيَّةٌ.

المَرْتَبة الثّانِية: الكِتابَة:

الإيمانُ بأنَّ الله تعالى كتَبَ مَقادِيرَ خَلْقِه في اللَّوحِ المحفوظِ ولم يُفَرّط في شَيْءٍ مِن ذلك، وعلى هذا الأدلَّة الكثيرة، منها:

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: معنى كلّ مولود على الفطرة، رقم (2660)، وانظر: صحيح البخاري، كتاب القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين.

أ- قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: 22].

ب- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: 70].

ج- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: 38].

د- وعن عُبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« أوّل ما خَلَق الله تبارك وتعالى القَلَم، ثم قال له: اكتُب قال: وما أكتُب قال:: فكتَب ما يكون وما هو كائِن إلى أن تقومَ السّاعَة » [1].

هـ- قول الرّسولِ صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه الشيخان عن علي رضي الله عنه:« ما مِنكم مِن أحَدٍ إلّا قد كَتَب مَقْعَدَه مِن النّار أو مِن الجنَّة. فقال: رَجُلٌ مِن القَوْمِ ألا نَتَّكِل يا رسولَ الله ؟ قال: لا، اعمَلوا فكُلٌّ مُيَسَّر، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ [الليل: 5 - 10] [2].

والأدِلَّة السّابقة مُصَرِّحَة بأنّ الله تبارك وتعالى كتَب كُلَّ شَيْءٍ قَبْلِ الخلقِ، ولم يُفرِّط في الكتابِ مِن شَيْءٍ، وذلك سَهْلٌ يسِيرٌ على مَن لا تخفى عليه خافِيَة.

المَرتَبة الثّالثة: المَشِيئَة:

مَرْتَبَةُ الإيمانِ بمشِيئَة اللهِ النّافِذَة وقُدْرَتِه الشّامِلَة، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن ولا بد وما لم يشأ لم يكن، والأدلة على المشيئة الشاملة كثيرة جداً منها:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 29].

ب- قوله تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: 39].

---

(1) رواه أحمد في مسنده (317/5)، وانظر: كتاب الشريعة للآجري (ص 177، و178، و186، و187).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمّه، رقم (2647)، واللّفظ لِلبُخاري.

ج- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المائدة: 48].

د- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: 82].

هـ- قول الرّسول صلّى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه « مَن يُرِدِ اللهُ بهِ خيراً يُفَقِّهه في الدِّينِ »[1].

ودلالة هذه الأدلة على عموم مَشِيئَة اللهِ تعالى ظاهرة؛ فكلُّ ما يحصُل في هذا الكون فهو مُرادٌ له سبحانَه وتعالى بالإرادة الكَوْنِيَّة، فهو الخالِق وحدَه المالِك المدبِّر، فلا يجري في مُلْكِه إلّا ما يُريد لا رادَّ لِقَضائِه، ولا مُعَقِّبَ لحكْمِه، أمّا ما لم يُرِدْه سبحانَه فلا يكون، لِعَدَم المشيئَةِ لا لِعَدَمِ القُدرَة؛ لأنّ اللهَ تبارك وتعالى لا يُعْجِزه شَيْءٌ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: 44].

المَرْتَبَة الرّابِعَة: الخَلْقُ:

الإيمان بأنّ اللهَ تعالى خالِقُ كلِّ شَيْءٍ لا خالِقَ غيرُه ولا رَبَّ سِواه، وممّا يدلُّ على هذا ما يلي:

أ- قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: 62].

ب- قول الله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: 2].

ج- وقول الله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: 117].

د- قَولُ اللهِ تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: 44].

هـ- قَولُ الرّسولِ ﷺ:« إنَّ اللهَ خالِقُ كلِّ صانِعٍ وصَنْعَته »[2].

وفي الآياتِ السّابِقَة والحديث النَّصُّ الجلِيّ على أنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو الذي قَدَّر كلّ شَيْءٍ وخَلَقَه، وهو الذي أحاطَ بِعِنايَتِه ورِعايَتِه جميع المخلوقات، وقد قَدَّر المخلوقاتِ وأَوْجَدَها

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: مَن يُرِد الله به خيراً يفقّهه بالدّين، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم:« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق »، رقم (1037).

(2) المستدرك للحاكم (٣١/١)، ومجمع الزوائد (١٩٧/٧).

لا على مِثالٍ سابِقٍ، ووَهَب بعضَ خَلْقِه القُدْرَةَ والفِعْل، واللهُ سبحانَه هو الخالِق لِلفاعِل وفِعْلِهِ وهو الخلّاق العَلِيمُ.

التَّحذِيرُ مِن الخَوْضِ في القَدَرِ

الإيمانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ ركنٌ مِن أركانِ الإيمان، كما أنّ القَدَر نِظامُ التَّوحِيد، والإيمان بالأسبابِ الموصِلَة إلى خَيْرِ القَدَرِ وشَرِّه هي نِظامُ الشَّرْعِ، ولا يَستَقِيم أَمْرُ الدُّنيا والدِّين بِدون الإيمانِ بالتَّوحِيد والشَّرع، وقد أكَّد هذا الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم لِمَن قال له: أفلا نَتَّكِل على كِتابِنَا ونَدَع العَمَل ؟ بقوله:« اعملُوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ، أمّا أهل السَّعادة فَيُيَسَّرون لِعَمَلِ أهلِ السَّعادَة، وأمّا أهلُ الشَّقاوَةِ فيُيَسَّرون لِعَمَلِ أهلِ الشَّقاوَةِ، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ [الليل: 5 - 10](1).

وهذا القَوْلُ مِن الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم أَمْرٌ بِالعَمَلِ ونهيٌ عن الاتّكالِ، والأعمال الحاصِلَة مِن الإنسان دَلِيلُ ما سَبَقَت به المشِيئَة، وما قُدِّر على الإنسانِ، وخالِقُ الأسبابِ ومُسَبّباتها هو الخالِقُ لِكلِّ شَيْءٍ سبحانَه وتعالى، لا يُسأَل عمّا يَفْعَلُ، والقَدَرُ سِرُّ اللهِ تعالى في خَلْقِه لم يُطْلِع عليه مَلَكاً مُقَرَّباً ولا نَبيّاً مُرْسَلاً، وقد جاءت النَّصوص الشَّرعِيَّة بأُمورٍ مِن القَدَر - مَرَّ ذكر بعضٍ منها في مَراتِب القَدَر - منها ما يدلُّ على نَفْيِ الظُّلْمِ عن اللهِ تعالى، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الزخرف: 76]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: 44].

ومنها: إثبات القُدْرَةِ والمشِيئَة لِلعِباد وإسنادُ أفعالهم إليهم، وسيأتي بيان هذا عند الكلام على مَذْهَب السَّلف في القضاء والقدر. فعلى ضَوء ما ورد يُدرِك المخاطَبون على اختِلافِهم شيئاً مِن القَدَرِ كلٌّ بحسَبِه، ممّا يقودُهم إلى الإيمان والتَّسلِيم بما أخفاه الله عنهم، وهو مِن الغَيْبِ الذي يُؤْمِن بِه المتَّقون المسلمون بِعِلْمِ اللهِ الشّامِل وقُدْرَتِه على كلِّ شَيْءٍ وخَلْقِه له، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكُن.

والرَّسولُ صلّى الله عليه وسلّم الحكِيم الحريصُ على أُمَّتِه حذَّرها مما يُؤَدِّي بها إلى المزالِق الخَطِرَة فنَهاها عن الخوضِ في القَدَرِ؛ لأنَّ ذلك مَدعاة لِقِياسِه على المحسوسات المشاهَدَةِ التي

(1) تقدَّم تخريجه.

يَتَرَتَّب بعضها على بعضٍ مِن المادِيّات التي أمامنا في الحياة، وهذا مَسْلَكٌ خَطِر يُوصِل الإنسانَ إلى الاعتِراضِ على المالك المتصرِّف، ويُوقِع في الحيرَة والضَّلال، ولا يَصِل الإنسانُ إلى ما يَطْمَئِنُّ بِه القَلْبُ إلّا إذا امتَثَل، وتَرَكَ الخَوْضَ في القَدَرِ، وجَعَلَ ما يُدْرِكُ مِن أوامِرِ الشَّرْعِ دَلِيلاً يقودُ إلى التَّسلِيم والرِّضى بما لم يَصِل بِه إدراكُه إليه، وفي القرآن الكريم ما يَلْفِت الانتِباه إلى مِثل هذا في شأن الرُّوح، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: 85]، أي: لم تؤتوا مِن العلم إلّا شيئاً قليلاً لا يمكِّنُكم مِن مَعْرِفَة كُنْهِ الرُّوحِ وحَقِيقَتِها، إنما يمكِّنُكُم مِن مَعْرِفَة آثارِها حالَ وُجُودِها في الأجسادِ.

مَذْهَبُ السَّلَفِ في القَدَرِ

مَذْهَب السَّلَف في القَدَرِ يتَلَخَّص في الأمور التالية:

أ- أنَّ اللهَ تعالى عَلِمَ كلَّ شَيْءٍ وكَتَبَه وشاءَه وخَلَقَه كما سَبَق تَفْصِيل ذلك في مَراتِب القَدَر.

ب- أنَّ لِلْعَبْدِ قُدرَةً ومَشِيئَةً واختِياراً بها تَتَحَقَّق أفعالُه، قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28].

وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وبمقتضاها يكون الثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: 21].

ج- أنَّ قُدرَةَ العَبْدِ ومَشِيئَته غيرُ خارِجَةٍ عن قُدْرَةِ اللهِ ومَشِيئَتِه، فهو الذي مَنَح العَبْدَ ذلك وجعَله قادِراً على التَّمييز والاختِيار، فأيّ الفِعْلَين اختارَ لم يَخرُج عن كَوْنِه داخِلاً تحت مَشِيئَة اللهِ وقُدْرَتِه وخَلْقِه قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 29].

د- أنَّه يجِب الإيمانُ بِالقَدَرِ خيرِه وشَرِّه على وَجْهِ التَّسلِيم وعَدَمِ الخوضِ فيه؛ لأنَّ كلَّ ما قَدَّره اللهُ تعالى حِكْمَة وعَدْل وخَيْر ورحمَة.

حُكْمُ الاحتِجاجِ بِالقَدَرِ في تَرْكِ ما أَمَرَ اللهُ بِه

لا يصّحّ الاحتِجاج بالقَدَر في تَرْكِ ما أَمَر اللهُ به أو فِعْلِ ما نهى الله عنه، ويَتَبَيَّن بُطلان الاحتِجاج بِالقَدَر على فِعْلِ المعاصِي وتَرْكِ الواجِبات مِن وُجوهٍ:

الأول: قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام: 148].

فنفى اللهُ عنهم العِلْمَ فيما ادَّعوه، ووصَفَ قولهم بِالظَّنِّ والتَّخَرُّصِ، ولو كان لهم حُجَّة بِالقَدَرِ ما أذاقَهُم اللهُ بَأْسَه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: 165]، ولو كان القَدَر حُجَّةً لِلمُخالِفين لم تَنْتَفِ بإرسالِ الرُّسُلِ؛ لأنَّ المخالَفَة بعد إرسالهم واقِعَةٌ بِقَدَرِ اللهِ تعالى.

الثّالث: ما ثَبَت عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم مِن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال:« ما مِنْكُم مِن أَحَدٍ إلّا قد كُتِبَ مَقْعَدُه مِن النّار أو مِن الجنّة»، فقال رَجُلٌ مِن القَوْمِ: ألا نَتَّكِل يا رسول اللّه ؟ قال:« لا، اعمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّر »، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: 5 - 10]، وفي لفظ:« فَكُلٌّ مُيَسَّر لِما خُلِقَ له » [1]. فأمَر النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بِالعَمَلِ ونهى عن الاتِّكال على القَدَر.

الرّابع: أنَّ اللّهَ تعالى أمَر العبد ونهاه ولم يُكَلِّفْه إلّا ما يَسْتَطِيع، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: 16]، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: 286]، ولو كان العبدُ مجبَراً على الفِعْلِ لكان مُكَلَّفاً ما لا يَستَطِيع الخلاصَ منه، وهذا باطِلٌ، ولذلك إذا وَقَعت منه المعصِيَة بجهْلٍ أو نِسيانٍ أو إكراهٍ، فلا إثمَ عليه؛ لأنَّه معذور.

الخامس: أنَّ قَدَرَ اللهِ تعالى سِرٌّ مَكتومٌ لا يُعلَم بِه إلّا بعد وُقوعِ المقدُورِ، وإرادَةُ العبدِ لِما

(1) تقدم تخريجه.

يفعَلُه سابِقَةٌ على فِعْلِه، فتكونُ إرادَتُه الفِعْلَ غيرَ مَبْنِيَّة على عِلْمٍ منه بِقَدَرِ اللهِ، وحينَئِذٍ تَنْتَفِي حُجَّتُه بِالقَدَرِ؛ إذْ لا حُجَّةَ للمَرْءِ فيما لا يَعْلَمُه.

السّادس: أنَّنا نرى الإنسانَ يحرِص على ما يُلائِمُه مِن أُمورٍ دُنياه حتى يُدرِكَه، ولا يَعْدِل عنه إلى ما لا يُلائِمُه ثم يحتَجّ على عُدُولِه بِالقَدَر، فلماذا يَعْدِل عمّا يَنْفَعه في أُمور دِينِه إلى ما يَضُرُّه ثم يحتَجّ بِالقَدَر ؟ أليس شَأنُ الأَمْرَيْن واحِداً ؟

وإليك مِثالٌ يوضِّح ذلك: نَرى المريضَ يُؤْمَر بِالدَّواءِ فيَشرَبه ونَفْسُه لا تَشْتَهِيه، ويُنْهى عن الطَّعامِ يَضُرُّه فيَترُكه ونَفْسُه تَشْتَهِيه، كلُّ ذلك طَلَباً لِلشِّفاء والسَّلامة، ولا يمكن أن يمتَنِع عن شُرْبِ الدَّواء أو يأكُل الطَّعام الذي يَضُرُّه ويحتَجّ بِالقَدَرِ، فلماذا يترك الإنسانُ ما أَمَرَ اللهُ بِه ورسولُه صلّى الله عليه وسلّم، أو يفعَل ما نهى اللهُ عنه ورسولُه صلّى الله عليه وسلّم ثم يحتَجّ بِالقَدَرِ ؟

السّابع: أنَّ المحتجّ بِالقَدَرِ على ما تَرَكَه مِن الواجِبات أو ما فَعَلَه مِن المعاصِي لو اعتَدى عليه شَخْصٌ فأخَذ مالَه أو انتَهَكَ حُرْمَتَه، ثمّ احتَجّ بِالقَدَرِ وقال: لا تَلُمْني فإنَّ اعتِدائِي كان بِقَدَرِ اللهِ، لم يَقْبَل حُجَّتَه، فكيف لا يَقْبَل الاحتِجاجَ بِالقَدَرِ في اعتِداءِ غيرِه عليه، ويحتَجّ به لِنَفْسِه في اعتِدائِه على حَقِّ اللهِ تعالى ؟

حُكْمُ الاحتِجاجِ بِالقَدَرِ عِنْدَ المَصائِبِ

الاحتجاجُ بِالقَدَرِ على المصِيبَة جائزٌ، وما قُدِّر على الإنسانِ مِن المصائِب يجِب الصَّبْرُ عليه والتَّسلِيم لِما قَدَّرَه اللهُ، ومِن كمالِ الإيمانِ الرِّضَى بالمقدورِ وذلك مِن الرِّضَى بِالرُّبُوبِيَّة.

وممّا يدلُّ على جَوازِ الاحتجاجِ بِالقَدَرِ على المصائِب حديث احتِجاجِ آدَم وموسى عليهما السّلام، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« احتَجَّ آدَمُ وموسى، فقال موسى: يا آدَم أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخْرَجْتَنا مِن الجنَّة، فقال آدَم: أنت موسى اصْطَفاكَ اللهُ بكلامِهِ وخَطَّ لك بِيَدِه، أتلومُني على أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عليَّ قبل أن يخلُقَني بِأرْبَعِين سَنَة ؟ فقال النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: فحَجَّ آدَم موسى، فحَجَّ آدَم موسى» (1). فآدم عليه السلام احتَجَّ بِالقَدَرِ على المصِيبَة وهي الخروج مِن الجنَّة، وقد حاجّه موسى عليه السلام بذلك حيث قال:« لماذا أَخْرَجْتَنا مِن الجنَّة ؟ » فكانت الحجَّة لآدَم على موسى عليه السلام، والله سبحانه وتعالى قد كَتَب أنَّ آدَمَ وذُرِّيَّته يَعيشون في الأرضِ وقد خَلَقَهُم لذلك كما أخبرَ تعالى بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30]، فكانت الحجَّة لآدَم على موسى. ولم تكن محاجَّة موسى لآدَم عليهما السّلام على المعصِيَة وهي الأَكْلُ مِن الشَّجَرة حيث لم يَلُمْه على ذلك، وموسى عليه السلام أعلَمُ مِن أن يَلُومَه على ذَنْبٍ تابَ مِنه، وتابَ اللهُ عليه، وآدَم عليه السلام أعلَمُ مِن أن يحتَجّ بِالقَدَرِ على أنَّ المذنِبَ لا مَلامَ عليه. والله أعلم.

الأسئِلَة:

س1: ما المراد بالقَدر ؟، وما معنى الإيمان بالقَدر ؟، وما الدَّليل ؟

س2: ما معنى كون الشَّرِّ ليس إلى اللهِ ؟

س3: كم مَراتِب الإيمانِ بالقَدرِ ؟، أُذكرها مرتَّبَةً مع ذِكْرِ الأَدِلَّةِ.

س4: ما فائدة النهي عن الخوض في القدر ؟

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السّلام، رقم (2652).

س5: ما مَذهَب السَّلف فِي القَضاء والقَدر مع الاستِدلال ؟

س6: ما حُكْمُ الاحتِجاجِ بالقَدَرِ فِي تَرْكِ ما أَمَر اللهُ به ؟، مع ذِكْرِ الدَّلِيل.

س7: ما حُكْمُ الاحتِجاجِ بِالقَدَرِ عند المصائِبِ ؟، ولماذا ؟، وما الدَّليل على ذلك ؟

الباب الثّالث

أَثَرُ الإيمانِ في حَياةِ
الفَرْدِ والجَماعَةِ

أثَرُ الإيمانِ في حَياةِ الفَرْدِ والجَماعَةِ

ميَّز اللهُ سبحانَه وتعالى الإنسانَ عن سائِرِ الحيوانات بالعَقْلِ ونَوَّره بِالفِطْرَة وكَمَّله بِالنُّبُوَّةِ. والإنسان مَدنيٌّ بِطَبْعِه فكلُّ فَرْدٍ مِن أفرادِه يجِب أن يكون شُعُورُه نحو مجتمَعِه بَنَّاءً كما يأخُذ يُعْطِي، وكما يُساهِم الآخرون في حاجاتِه يجِب أن يُساهِم هو في حاجاتهم، ولكنَّ حُبَّ الذّاتِ واختِلافَ النّاسِ في الإدراك، وفي قِوَى العَمَلِ، تجعَل كَثيراً مِن النّاسِ يجانِبِ الصَّواب؛ إمّا كَسَلاً أو خَطأً في التَّصَرُّفِ أو احتيالاً، ويَسْلك شَتّى الطُّرُق لِتحقِيقِ رَغباتِهِ ونَزَواتِه.

فالجرائِم تُدَبَّر في الخفاءِ وتحاكُ في الظَّلامِ بَعِيداً عن أَعْيُنِ الرُّقَباء وعن العَدالَةِ لو افتَرَضَ تَطْبِيقُها بين النّاسِ، ولا يمكِنُ السَّيْطَرَةُ على هذه النَّواحِي؛ لأنَّ هذه أُمُورٌ قد لا تكون ظاهِرَة لِلمُجْتَمَعِ ولا يمكِن أن يُسَيْطِر عليها ويُنَظِّمها سِوى قُوَّة داخِلِيّة ورَقِيبٌ مُلازِم. وليس ذلك إلّا الدِّين ونُور الإيمانِ الذي يَسْتَشْعِر الفَرْدُ بِه مُراقَبَةَ عَلّام الغُيوبِ الذي يجازِي كُلاًّ بِعَمَلِه ولا تخفى عليه خافِيَةٌ في الأرضِ ولا في السَّماء. فبَعَثَ اللهُ الرُّسلَ للأخْذِ بِيَدِ الإنسانِ إلى ما فيه سَعادَتُه، والاهتِمام بِه جَسَداً ورُوحاً، ورَسَم له الطَّرِيق الذي يَسْلُكه لِتَحْقِيق رَغباتِه.

فحرَّم الإسلامُ التَّبَتُّل والرَّهبانِيَّة، وأمَر بِالتَّمَتُّعِ بِالطَّيِّبات مِن الرِّزقِ، وحرَّم الخبائِث.

وأمَرَ بِعِبادَتِه وإخلاصِ الدِّين له، ونهى عن الكُفْرِ والفُسوقِ والعِصْيان في مَواضع كثيرة من القرآن، وقد تبرَّأ هادِي هذه الأُمَّة محمَّد صلّى الله عليه وسلّم مما هَمَّ به أولئك النَّفر الذين أرادوا الزِّيادة في العمَل على ما كان عليه الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم غير مُبالِين بِراحَة أبدانهم، روى أنس بن مالك ﷺ أنَّ ثلاثَة رَهْطٍ جاؤوا إلى بيوت أزواجِ النَّبيِّ صَلّى الله عليه وسلم يسألون عن عِبادَة النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فلمّا أُخبِرُوا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن مِن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قَدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّم مِن ذَنْبِه وما تَأَخَّر ؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلِّي اللَّيل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدَّهْرَ ولا أُفْطِر، وقال آخر: أنا أعتَزِلُ النِّساءَ فلا أتزَوَّج أبداً، فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال:« أنتم الذين قُلْتُمْ كذا وكذا، أما والله إنِّي لأخشاكُم للهِ وأتقاكُم له، لكني أصومُ وأُفْطِر، وأُصَلِّي وأرقُد، وأتزَوَّج النِّساء، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي » (1). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ومسلم، كتاب النكاح، باب: استحباب ==

فالدِّينُ يمثِّلُ صَرْحاً شامخاً مُتكامِلاً بِداخِلِه جميع أسبابِ الحياةِ المثمِرَة ووسائِلِها الكَفِيلَة بحياةٍ مِلْؤُها السَّعادة في الحياة الدّنيا، وعاقبتها في الآخِرَة حياة أسمى منها وأتمّ وأكمَل، قد رُتِّبَتْ عليها لا تَرَتُّبَ العِوَضِ على المعَوَّضِ؛ لأنّ المحدودَ الضَّئِيلَ لا يكون ثمناً لِلْمُسْتَمِرِّ الكثِير، ولكن فَضْلاً مِن اللهِ ورحمَة لِمَن كان صادِقَ الإيمانِ به وبملائِكَتِه وكتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خيرِه وشَرِّه. فامتِثال كلّ رُكْنٍ مِن هذه الأركان يُعْطِي ثماراً كثيرة لِلفَرْدِ أوّلاً، وللجماعَة ثانياً، مع ارتباطِ كلّ رُكْنٍ منها بالآخَر؛ لأنَّ عَدَم التَّصدِيق بِواحِدٍ منها يُعَدّ تَكذِيباً بها جميعاً، ولا ينفَع الإيمانُ صاحِبَه ولا يكون مُثْمِراً ما لم يكُن إيماناً بجميع الأركانِ.

والإنسانُ خُلِقَ للابْتِلاء قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: 2]، وقد كمَّله اللهُ تعالى بما هو لازِمٌ لهذ الابتِلاءِ، فجعَله عاقِلاً سميعاً بصيراً مُتحَرِّكاً، ووَضَع فيه الرَّغَباتِ والنَّزَعاتِ الجسَدِيَّة والرُّوحِيَّة، وأرسل له الرُّسُلَ تُوضِّح له الطَّرِيقَ المستَقِيم الذي ينبَغِي أن يسِيرَ عليه لِينالَ الحياة الطَّيِّبة في الدُّنيا، ولِيَصِل إلى النَّعِيم المقِيم في الآخِرَة، وتحذِّره مِن الطُّرُقِ الموصِلَة إلى عَذابِ السَّعيرِ، قال تعالى مُبيِّناً ذلك: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: 56 - 58]، فالخروج عن العِبادة خروجٌ عن الصِّراط المستَقِيم، والعبادَة الحقَّة هي الحسَنَةُ التي فيها الإخلاصُ والاتِّباع، الإخلاصُ بِالقَصْدِ، والاتِّباعُ بِالالتِزام بِتَعالِيم الرُّسُلِ لِقَوْله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7].

والابتِلاء هو الاختِبارُ لِمَعرِفَة الأحسَنِ عَمَلاً؛ بموافَقَتِه الأَمْرَ امتِثالاً، وابتِعادِهِ عن النَّهْيِ هُجراناً.

وعلى هذا فالإيمانُ بجميعِ أركانِه وِحْدَة مُتكامِلَة مُرتَبِط بعضُها ببعضٍ، لا يغني بعضُها عن الآخَر، وآثارُ الإيمان بِكُلِّ ركنٍ منها آثارٌ لِباقِيها، فهي على التَّحقِيق غيرُ مُنْفَصِلة عن بعضها وكذلك تأثيرها على الفَرد والجماعَة، ولكنَّ الفردَ هو اللَّبِنَة الأولى التي يتكَوَّن منها المجتمَع جاءَت الرِّسالات مُنْصَبَّةً على الأفرادِ؛ لأنَّ صَلاحَهُم صَلاح المجتَمَع، ومِن الآثار ما يلي:

==

النِّكاح لمن تاقَت نفسُه إليه، رقم (1401)، واللَّفظ لِلبُخاري.

أ- أنَّ الإيمانَ باللهِ هو حياةُ القُلوب الباعِث لها على القُوَّةِ التي تَرْقى بها مَدارجَ الكَمال، وهو الحافِز للنُّفوس على التَّحلِّي بخصالِ الخير، والتَّنزُّه عن الرَّذائِل وسَفاسِف الأمور، كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: 122].

ب- أنَّ الإيمانَ مَصْدَرٌ لِلرّاحَةِ والطُّمأنِينَة للأفراد؛ لأنَّه يُسايِرُ الفِطْرَةَ ويُوافِق طَبيعَتَها، وهو مَصْدَر الهناءِ والسَّعادَةِ لِلمُجْتَمع؛ لأنَّه يُقَوّي رَوابِطَه وَيُوَثِّق صِلاتِه ويُزَكِّي عَواطِفَه ويَسْمُو بها نحوَ الفَضِيلَة، إنها نِعْمَة الرِّضا في كلّ حالٍ، حالَ السّعَةِ والضِّيق، والعُسْرِ واليُسْرِ، والفَرَح والحزنِ إيماناً بِقَضاءِ اللهِ وحِكْمَتِه كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: 216].

وروى الإمام مسلم عن صُهيب ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:« عَجَباً لأمْرِ المؤمِن إنَّ أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذاك لأحَدٍ إلّا لِلْمُؤمِن: إن أصابَتْه سرَّاءُ شَكَر، فكان خيراً له، وإن أصابَتْه ضرَّاءُ صَبَر، فكان خيراً له » [1]. فالمؤمن المسْتَشْعِر لهذا يكون هادِئَ القلب، مُرتاحَ البَدَن والنَّفس، تملأ حياتَه السَّعادة ويعلُوه الرِّضا، والسَّكينة، مُطْمَئِنٌ إلى رحمَةِ اللهِ وعَدْلِه؛ لأنَّه مَلاذُه ومُلتَجَؤُه وقُرَّةُ عَيْنِه وبَرْدُ يَقِينِه.

ج- طُهْرُ النُّفوسِ وصَفاؤُها، أي: أنَّ الإيمانَ يُطهِّر النُّفوسَ مِن الأوهام والخرافات فتَصفُو لِما فُطِرَت عليه، وتَسْمُو ويَعْلُو شَأنُها بما تكون عليه مِن الكَرامَة، فكلّ خُضُوعٍ فيها واسْتِكانَة تَتَحَدَّد تجاه خالِقِها وصاحِب الفَضْلِ عليها وعلى الخَلْقِ كلِّهم المتَكفِّل بمصالحهم، فمتى اسْتَشْعَرت النُّفُوس وحدَتَها في الخِلْقَة، وكفالَتها في الرِّزق ذَهَبَت عنها قُيُود الوَهْم، والخوف والرَّجاء مِن الخلق، سواءً مِن كُبراء البَشَرِ، أو مما يخترِعُه الخيالُ ممّا يُظَنّ في الظَّواهِر الكَوْنِيَّة مِن الكواكِب والأشجار والأحجار ونحوِها، أو مِن القبور وأصحابها فتَتَعَلَّق بالحقِّ وتُعْرِض عن سِواه، فيتحد الناس في التَّعليق والهدف فتزول عنهم بَواعِث التَّنافر والخِلاف.

د- إظهار العِزَّةِ والمنَعَةِ: إنَّ مَنْ يؤمِنُ بأنَّ الدُّنيا مزرعَةُ الآخرَة كما قال تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[البقرة:

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كلّه خير، رقم (2999).

110].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: 7 – 8].

ويُؤمِن بِأنَّ ما أخطَأه لم يكُن لِيُصِيبَه، وما أصابه لم يكُن لِيُخْطِئَه يَنْتزِع مِن قَلْبِه أيَّ باعِثٍ على الخوفِ وأيَّ مَظْهَرٍ مِن مَظاهِرِه، فلا يرضى لِنَفْسِه الذِّلَّة والهوان، ولا يصبِر على الهزيمة والعُدوان. ومِن هنا يظهر لنا بِوُضوح كيف تحقَّقت تلك الإنجازات العَظِيمَة على يَدِ الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم وعلى أيدي أصحابِه. إنَّ قِوى الأرضِ كلَّها لا تَقِف أمامَ مَن خالَطَت بَشاشَةُ الإيمانِ قَلْبَه وراقَبَ اللهَ في عَمَلِه، وكانت الدّارُ الآخِرَة مَطْلَبَه، كما نُدْرِك كيف كان الأنبياء عليهم السّلام وهم أفرادٌ يَقِفون أمامَ أقوامِهِم مُتَحَدِّين وغير مُبالِين بِكَثْرَةِ أولئِك وقُوَّتِهِم، وفي مَواقِف الخليلِ وهُود عليهِما الصَّلاة والسَّلام ما يجَلِّي ذلك بِوُضوحٍ ويُبْرِزُ قُوَّةَ الإيمانِ الحقِيقِيَّة.

هـ- التَّحلِّي بمكارِمِ الأخلاقِ: فإيمانُ المرءِ بحياةٍ بعد هذه الحياةِ يحصِّل بها الجزاءَ على الأعمالِ ممّا يُشْعِر بأنَّ لحياتِه غايَةً وهَدَفاً سامِياً، الأمر الذي يَدْفَعه إلى الأعمالِ الحسَنة مِن فِعْلِ الخيرات والتَّحلِّي بِالفَضائل، والابتِعاد عن الشُّرورِ والتَّخلِّي عن الرَّذائِل، وهذا مِن شَأْنِه أن يُوجِد الفَرْدَ الفاضِلَ والمجتمَعَ الكَريمَ والدَّولَة النّاهِضَة.

و- الجدّ والاجتِهاد في العمَل: إن مَن يؤمِن بقضاءِ اللهِ وقَدَره ويعلَم ارتباطَ الأسبابِ بمسبَّباتِها، ويعرف قِيمَة العَمَل ومَنْزِلَته وفَضْلَه يُدْرِك أنَّ مِن تَوفِيقِ اللهِ للإنسانِ هِدايَتَه للأخذِ بِالأسبابِ الموصِلَة إلى المطلوب، ولا يجِد القُنوط واليَأس طَرِيقاً إلى نفسِه نَتِيجَة ما فاتَه مِن أمْرٍ، كما لا يَدِبُّ الغُرور والفَخْر إلى نفسِه إذا نالَ شيئاً مِن حُطامِ الدُّنيا إيماناً بقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: 22 – 23].

والله أعلم، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبِه وسلَّم.

الأسئِلَة:

س1: بمَ يتميَّز الإنسانُ عن سائِر الحيواناتِ ؟

س2: ما الهدفُ مِن خَلْقِ الإنسانِ ؟، وما الطَّريق المرسُوم له ؟

س3: كيف يُعْتَبر الإيمانُ حَياةً لِلقلوبِ ؟

س4: لماذا يبعَثُ الإيمانُ على الرّاحَةِ والطُّمأنِينةِ ؟

س5: ماذا يترتَّب على الإيمان بالقَضاءِ والقَدَر والجزاءِ على الأعمالِ تجاهَ الفَرْدِ والجماعَة ؟

س6: أُذكر بعضَ آثارِ الإيمان في حياةِ الفرد والجماعَة.